منازل

لكي يا منازل فراقلوب منازل

ثقافية أدبية مستقلة نصف شهرية | العدد /6/ 15 آب 2013 | www.facebook.com/منازل | السعر (50) ليرة سورية

في هذا العدد

* خيارنا أن نبقى بشراً 5
* في موعدنا الأخير 7
* فيصل البليبل.. ذاكرة وطن 10

2

الرقة وثورة الصحافة الحرة

4 الاعيوج ذاكرة الموت والنار ـ الحلقة الثانية

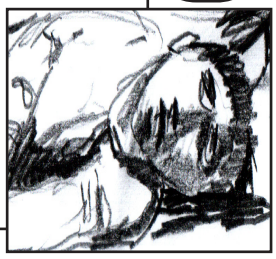

يتعرّض الشّيخ محمّد أبو ياسر والحاجّ سعيد لتعذيبٍ شديد, هذا ما نقلَه أحدُهم عبرَ اتّصال من هاتف خليوي إلى هاتف أرضيّ بعد اليوم الثّالث لاقتحام القرية، هكذا قالتِ الأنباء الواردة من هناك.

8 جمعية حمار ولا العار...

سمعَ حمارٌ أشهبُ فارهٌ أتاناً تقفُ إلى جانبه على المعلف تزفرُ في نَهيقٍ خافتٍ حسرةً على من قضَى من بني جنسِها في موقعة الحمير الشّهيرة, أولئك الحمير الذين لا يجدون من يرثي لهم من بني البشر.

12 جسد الجمهورية

لم ينل جسد القائد السياسي حقه من الدراسة عربياً، بالرغم من اتصاله المباشر بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم. وعلى الرغم من تخلّف العلم فإنّ الوعي الشعبي بهذه العلاقة موجود منذ عهد الملك فاروق.

منازل الدنيا

أيام البراميل

ماجد رشيد العويد

لم يخطرْ في بالِ المؤرّخين العرب القُدامى أنْ يدوِّنوا يوماً للبراميل، ليسَ لأنّها لم تكنْ معروفة آنذاك فحسب، ولكنْ لأنّ أيامَ الحرب في الجاهليّة كانت متواضعةً، وكذلك أيام غزواتهم بسيطة وساذجة.

والبراميلُ اليومَ ارتبطت بحكم فاشيّ بعثيّ غلّب نزعة إجرامه وذهب بها إلى تدمير سورية مذاهبَ شتّى، وحُقَّ لنا اليومَ أن نطلِقَ عليها اسمَ أيّام البعث الأسدي، ومن أيامِهم هذه ما أسقط فوقَ الرقة من براميلَ محمولةٍ بمظلّاتِ الموت المباغت والصّاعق منذ تحريرها، وأمّا أشدّها فكانَ نهاية تموز وبداية آب.

لا تكفي هُنا كلمةٌ مدوٍّ للدّلالة على حجم الحقد الّذي يسكنُ صدرَ مَن حكمَ البلدَ أكثرَ من خمسينَ سنة، فهؤلاءِ الخارجون من رَحَم الكراهية، ولا يعرفونَ غيرها، يريدونُ البلادَ قاعاً صَفْصَفاً. ولذا فعلى المدنيّ الموت لأنّه قرّر في لحظةٍ خارجَ السياق البعثي أنْ يكون حرّاً كريماً، ولأنه لا يجوز لك أن تصبحَ حرّاً في زمن الأسد فإنّ البراميل بانتظار قتلك، أو إرعابك في الحدّ الأدنى.

أيضاً فإنّ أيام العرب في الجاهلية تميّزت بأخلاقها، فالحرب لم تمنعهم من المروءة والشهامة، وأمّا أيام البراميل فخلت من كلّ خُلق سويّ، وتميّزت بوحشية منقطعة النظير.

ومن نقاط التباين أيضاً بين أيام الجاهلية القديمة والحديثة أنّ تلك الماضية عرَفت لوناً واحداً من الغزو البدائيّ بقصد الحفاظ على نوع من الحياة عبرَ ما يغنمونه من ألوان الحفاظ على النوع القبليّ المزهوّ بقوته، وأمّا المعيشة فإنّها أضافت لوناً طائفياً باستقدام حزب حسن الإيراني، وبعض طائفيي العراق. ولعلّ الغنائم هنا تكمن في المحاولات المستميتة في فرض لونٍ عقائديّ لن يلقى قبولاً. وأمّا ظنّهم أنّ الأفكار والعقائد يمكن غنمها فظنٌّ أحمقُ بائسٌ، ونهاياتهم ستكون كربلائيةً بلا ريب.

ولعليَّ أضيف هنا أنّ أهلَ التقية، ولن تنفعهم اليومَ، لم يتعلموا من التاريخ شيئاً وأنّ الغلبة لحقٍّ بيّن وأبلجَ، وليسَ لوهمٍ يسكن سرداباً يتهدّم اليوم فوقه.

فهل ترى يعي "الجيش العقائدي" ومن والاه من عصبة الحقد الطائفية هذه الحقيقة ويقف عندها، أم تراه يظلّ سادراً غير معنيّ بحقائق التاريخ، وأنه يذهب إلى حتفه تطمره اللعناتُ، وتسوقه الأيام إلى مكمنِ الجيفِ؟

الثابت واليقيني أنّه يذهب إلى حيث يسكن الجرذ، وأما السّوري فإنه يرتقي معراجَ كرامته وحريته غير آبه بموت مؤقّت، وإن كان مؤلماً وقاسياً ورهيباً.

الرقة وثورة الصحافة الحرة

يوسف دعيس

يغيب دور الصحافة الرقابي والتنويري في البلدان التي تحكمها أنظمة شمولية، وتشكل المنظومة الإعلامية غير المستقلة قالباً واحداً يخدم مصالح هذه الأنظمة وتطلعاتها، ويخضع لتوجهاتها الأيديولوجية، ما يؤدي لضيق مساحة الإبداع، وانحسار دورها الرقابي، والاهتمام بالإنجازات الاقتصادية وتضخيمها، والتركيز على ما تحققه من نتائج لشعوبها المستكينة للاستبداد والقهر.

في سورية وقبل أن يطيح حزب البعث بالحياة الديمقراطية، ويقوم بإلغاء الأحزاب والتأسيس لنظريات الحزب القائد، والجيش العقائدي، والقائد الخالد، ومصادرة الحريات، كانت البلاد تنعم بتنوع سياسي واجتماعي واقتصادي أسهم في ثرائها، وكانت تنتشر في البلاد المؤسسات الإعلامية، بالتوازي مع زيادة الوعي بأهمية الصحافة ودورها، والتوسع الأفقي لعدد القراء، والانتشار المتسارع لثقافة القراءة.

تُرى كيف كانت الصحافة قبل الثورة السورية، وما هو دورها؟ وهل كانت بحق سلطة رابعة؟ وبالمقابل هل أدت الصحافة دورها الحقيقي بعد اندلاع الثورة؟ وهل كانت صوتاً ضاغطاً؟ وهل استطاعت نقل أوجاع السوريين وآلامهم؟ وهل ازدهرت الصحافة واستقلت، وكانت بحق صوت الثورة؟ أم تبنّت الدور الحيادي في نقل الحقائق؟ ومع انتشار وسائل الاتصال الحديثة هل غابت الصحف على حساب سطوة الصورة؟ وهل جاءت ثورة الانترنيت ملبية لطموح القارئ؟ وما هو دور مواقع التواصل الاجتماعي في ثورات الربيع العربي؟

واقع الصحف الرسمية في سورية..

في سورية تصدر صحيفتان رسميتان الثورة وتشرين، وصحيفة البعث شبه الرسمية، والناطقة باسم حزب البعث، وتتشابه جميعها بالشكل وتتقاطع بالتوجه، وتنتفي منها روح الإبداع والتجديد، وتكرّس واقع الفساد، وتتقاطع بالشكل والمضمون صحف الدولة الرسمية مع صحف أحزاب الجبهة والاتحادات والمنظمات المنضوية أساساً تحت لواء حزب البعث، والتي تهتم أولاً بإبراز نشاطاتها، فيما أصدرت مؤسسة الوحدة صحفاً محلية في عدد من المحافظات، آخرها "الفرات" في دير الزور عام 2004، مع السماح للقطاع الخاص العمل في المجال الإعلامي حيث تم الترخيص لعدد من الصحف، أبرزها "الوطن" و"بلدنا" و"الخبر" و"الاقتصادية"، و"بقعة ضوء"، و"سالب وموجب"، توقف معظمها عن الصدور بدءاً من العام 2011. وتعتبر جميعها صورة مصغرة عن الأم الرسمية. رغم المحاولات الجادة لعدد من المهنيين في كشف قضايا الفساد التي تعم البلاد.

ظل العمل الصحفي في الرقة يرتهن لأصحاب القرار السياسي، وأجهزة الأمن التي تتربص بكل صغيرة وكبيرة وتتدخل في كل شاردة وواردة، ومن يتجاوز الأمن يسقط في فخ الحزب الذي يقيّم أداء الصحفيين حسب أهواء وأمزجة القادة البعثيين، ومن استطاع النجاة من سطوة هؤلاء يقع في قبضة القضاء، ويودع في السجن، بسبب تواطؤ القضاء الفاسد مع الإدارات الفاسدة.

أرقام توزيع الصحف في الرقة..

تدل أرقام التوزيع الهزيلة على مدى ضعف الإقبال الجماهيري وعزوفهم عن شراء وقراءة الصحف، فصحف الثورة وتشرين والبعث توزع نحو 1500 صحيفة بما فيها اشتراكات الدوائر والمؤسسات والاشتراكات الخاصة، والبيع المباشر، وبمعدل 500 نسخة لكل صحيفة، فيما يزيد معدل اشتراك صحيفة البعث على حساب البيع المباشر.

ويعزو المسؤول عن توزيع الصحف في الرقة تردي توزيع وبيع الصحف إلى تأخر وصولها، ورغم ذلك إذا وصلت بشكل مبكر فنسبة المبيع اليومي تتراوح ما بين 75-90% فيما تصل إلى 100% إذا كانت تحتوي على أخبار هامة أو تحقيقات أو استطلاعات تتناول موضوعات تتعلق بالمحافظة، علماً أن ثمن الصحيفة لا يتجاوز خمس ليرات سورية، ووحدها صحيفة "الفرات" من حقق نسبة بيع واشتراك كبيرة لم تقاربها أية صحيفة أخرى، حيث يصل عدد الاشتراكات والمبيع اليومي نحو /3000/ نسخة، ويعود ذلك لتناولها هموم ومشاكل المحافظة، إضافة إلى ذلك تميزت الصحف الرياضية على حساب السياسية والثقافية، وشهدت إقبالاً مضاعفاً.

أما بالنسبة للصحف الخاصة وصحف الأحزاب فقد ظلت أرقامها ضعيفة، ويرى مسؤول التوزيع أن عزوف الناس عن قراءة هذه الصحف يعود إلى كونها ممجوجة ومكررة، وتفتقر للموضوعية والدقة والحيادية، وتتسم بالكذب والخداع، وهو ما يميز الإعلام السوري المقروء والمسموع والمشاهد.

صحف الثورة ومقاربة الحرية..

أول صحيفة ورقية صدرت في الرقة بعد اندلاع الثورة السورية، ثورة الحرية والكرامة بتاريخ 15/3/2011 هي صحيفة "ثوريٌ أنا" التي تصدرها تنسيقية شباب الرقة بدءاً من العام 2012، وبعد تحرير مدينة الرقة بتاريخ 4/2/ 2013 وما إن تنفس أهلها نسيم الحرية حتى بدأت تصدر بين الفينة والأخرى صحف ومطويات ونشرات أسبوعية أو نصف شهرية، رغم ضعف الإمكانات المادية والفنية، المتمثلة بندرة الورق والطابعات الحديثة، ومع ذلك صدرت صحف عدة أبرزها: "كلمة حرة"، و"نبض البلد"، و"قندريس"، و"شمس الحرية"، و"أمناء الرقة"، و"منازل"، و"تصبحون على وطن"، ومجمل هذه الصحف يفتقر للموضوعية والدقة والمهنية، ووحدها مجلة منازل اختصت بالمحتوى الثقافي والفكري على مستوى سورية. كما تميزت "ثوري أنا" من بين الصحف التي اهتمت بالناحية الصحفية. فيما بدأت بالوصول إلى الرقة صحف المحافظات الأخرى التي تميزت بمحتواها الفني والمهني مثل: "عين المدينة"، و"نور الشام"،

و"جسر"، و"أوكسجين"، و"طلعنا عالحرية"، و"عنب بلدي"، لكن الدور الإعلامي الحقيقي الذي واكب الثورة السورية ما قامت به فضائيات العربية والجزيرة والأورينت، وشدا الحرية، والسوري الحر من خلال شبكة مراسليها الذين استطاعوا نقل الصورة الحقيقية لما يجري على الأرض من انتهاكات للنظام السوري وإجرام غير مسبوق لجيشه الذي طالت وحشيته البشر والحجر والشجر، إضافة إلى مجهود الناشطين والمثقفين على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، الذين واكبوا الأحداث اليومية للثورة السورية.

المحتوى الصحفي والمهني لصحف الثورة..

1. ثوري أنا: صحيفة مستقلة نصف شهرية، ثورية وناطقة للحرية، لكنها في الواقع تصدر عن تنسيقية شباب الرقة، وهذا لا يقلل من قيمتها ومحتواها الإعلامي، وتتألف من /12/ صفحة، وتوزع نحو /250/ نسخة، وقد واظبت على الصدور للسنة الثانية على التوالي، ولا يوجد فيها تبويب ثابت للمواد والمقالات المنشورة، لكن محتواها شامل ويضم الافتتاحية، والتحقيقات الصحفية واللقاءات والاستطلاعات، وتفرد في صفحاتها مساحة صغيرة للإبداع، وخصصت الجزء الأكبر من الصفحة الأولى لرسوم الكاريكاتير.

المواد المنشورة في صحيفة ثوري أنا لأقلام شابة في معظمها، تتطور من عدد إلى عدد آخر، مع الإشارة إلى توفر أقلام واعدة، ربما سيكون لها مكانة متميزة في عالم الصحافة، نتيجة تراكم الخبرات، واستمرار خضوعهم لدورات تدريبية.

يغلب على محتواها الطابع الصحفي، فهي تهتم بنقد أحوال البلد بجرأة كبيرة، ولا تكتفي بطرح الأسئلة، بل تتعداها للبحث عن حلول للأخطاء والتجاوزات التي ترتكب في المحافظة، إضافة إلى محاولاتها الجادة في نقل الأخبار، ورصد الحالات السلبية من خلال الاستطلاعات والتحقيقات الصحفية، إضافة إلى تسليط الضوء على شهداء المحافظة ومعتقليها.

أما من الناحية الفنية فطباعتها متوسطة، وينقصها الجودة، والتقنية من ناحية الاستفادة من البرامج الصحفية التقنية التي توفر إمكانية تبويب الصحيفة، وتقسيم صفحاتها، واستغلالها بشكل جيد.

2. كلمة حرّة: وهي جريدة مستقلة سياسية اجتماعية ناقدة، محتواها الأساسي صحفي، وتعنى بنشر الأخبار والمقالات الناقدة، ويغلب عليها الرؤية الساخرة في تناول تداعيات الواقع ومشاكل وهموم أبناء المحافظة، وتتألف من ثماني صفحات، وهي تتقاطع مع صحيفة ثوري أنا من ناحية الشكل والمضمون، لكنها أقل اهتماماً بالنواحي المهنية، بالتوازي مع غياب الاهتمام بالجانب اللغوي، وهي أيضاً غير مبوبة ولم تستغل صفحاتها بشكل فني يتوازى مع تطور الإعلام ووسائل النشر.

3. صحيفة منازل: وهي صحيفة ثقافية سياسية فكرية، تصدرها هيئة تحرير مستقلة، وهي الأكثر توزيعاً، حيث يصل عدد النسخ الموزعة إلى /500/ نسخة، كما أنها استفادت من تقنيات الحاسوب في شكلها الفني المتميز، وتوزيع أبوابها المدروس، واستغلال صفحاتها بمهنية استفادت من تراكم خبرات وإمكانات العاملين فيها. وتجاوز توزيعها حدود المحافظة لتصل إلى المحافظات السورية الأخرى، وتركيا.

تغيب عن صحيفة منازل الأقلام الشابة، رغم محاولات هيئة التحرير الدائمة في استقطابهم، لكي تتمكن من استثمار طاقاتهم الإبداعية. بينما استطاعت استقطاب الكتّاب العرب والسوريين للكتابة على صفحاتها، إضافة إلى استثمار طاقات المبدعين من أدباء وفناني ومفكري الرقة، والاهتمام بالأقلام الواعدة من الناشطين والمثقفين، وتم تخصيصها بصفحة على موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك"، وتخطط لإنشاء موقع الكتروني، يكون شاملاً، ومتوافقاً مع مسيرة الثورة السورية، كما أولت اهتماماً بنشر "الموتيفات" المرافقة للقصائد والمقالات والتحقيقات الصحفية.

المواقع الالكترونية..

انحسر دور المواقع الالكترونية على حساب مواقع التواصل الاجتماعي، وظلّ دورها محصوراً في نطاق ضيق جداً، وأبرز المواقع الإخبارية التي أنشأها أبناء الرقة على شبكة الانترنيت قبل قيام الثورة، هي مواقع (الرقة كوم، وسيريا بوست، وسفير بريس، محافظة الرقة الرسمي)، إضافة لموقع إيركا من مشروع إيسيريا الذي تموله وتشرف عليه الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية، وبعد اندلاع الثورة السورية أنشأ عدد من الصحفيين موقع قلم رصاص، ما لبث أن توقف معظمها عن العمل نتيجة تداعي الأحداث وتطورها.

لم تلعب هذه المواقع دوراً لافتاً في أحداث الثورة السورية، واقتصرت على مقاربة الأحداث الجارية من بعيد، دون أن تعلن عن موقف واضح مؤيد للثورة، لكن مع ملاحظة الموقف الضبابي المتردد تجاه النظام السوري، واكتفت بتسليط الضوء على سلبيات المجتمع، ونشر التحقيقات والأخبار المتعلقة بالفساد، إضافة إلى محاولات خجولة في بعث روح الإصلاح في مفاصل الحكومة. وفي المقابل برز الدور الحقيقي للناشطين والمثقفين على صفحات التواصل الاجتماعي من خلال صفحاتهم الخاصة أو الصفحات الإخبارية، كصفحات التنسيقيات وشبكة أخبار الرقة، التي واكبت الثورة السورية، ونقلت أحداثها وأخبارها بقدرة فائقة، ومواكبتها أولاً بأول، فاستطاعت بذلك جذب القارئ، والتفاعل معه من خلال التعليقات الجادة التي تعبر عن عمق الاتصال بالثورة. ويمكننا الإشارة هنا إلى الدور الإيجابي الكبير لموقع اليوتيوب في نشر مقاطع الفيديو التي رصدت الأحداث بالصوت والصورة، مع توفر إمكانية التعليق بما يؤسس لحالة تفاعلية مع الأحداث لم تكن موجودة في السابق.

لعل التجربة الصحفية الناشئة في محافظة الرقة من أنجع التجارب الإبداعية التي واكبت الثورة قبل التحرير وبعده، وهي من الأصوات المدنية التي يعول عليها في إعادة الحياة إلى الرقة

لعل التجربة الصحفية الناشئة في محافظة الرقة من أنجع التجارب الإبداعية التي واكبت الثورة قبل التحرير وبعده، وهي من الأصوات المدنية التي يعوّل عليها في إعادة الحياة إلى الرقة، التي تنفست الحرية أولاً، ونأمل أن تكون بحق ثورة حقيقية في عالم الإعلام الحر، الذي يؤسس لحياة أسها الأول الديمقراطية.

2 منازل ترصد أحداث الأعيوج في ثلاث حلقات

الأعيوج ذاكرة الموت والنار
(2)

أحمد رشاد

يتعرّض الشّيخ محمّد أبو ياسر والحاجّ سعيد لتعذيبٍ شديد, هذا ما نقلَه أحدُهم عبرَ اتّصال من هاتف خليوي إلى هاتف أرضيّ بعد اليومِ الثّالث لاقتحام القرية، هكذا قالتِ الأنباء الواردة من هناك.

هل يمكن لأحدٍ أن يساعدَ في إنقاذهما؟ من يمتلك القدرةَ على التّواصل مع الجنود داخلَ القرية؟

يقضي بعضُ الرّجال النّازحون نهارَهم بمراقبة القرية من بعيد عبرَ المناظير، بينما تتناثرُ النّسوة والأطفال في المزارع والحقول بحثاً عن الملاذ الآمن. وعناصرُ الجيش الحرّ يرابطون على مسافة من القرية. في اللّيل يحاول بعضهم التقدمَ نحو الأمام تحتَ تغطية بالقصف الصّاروخي ومدافع الهاون، ولكن القدرةَ الناريّة للجيش النظاميّ المتحصّن داخلَ القرية تمنعُ المسلّحين من الاقتراب كثيراً نحو أطرافها. استطاعت مجموعةٌ مسلّحة بالتعاون مع بعض الشبان من أبناء القرية عبورَ الوادي والتسلل إلى القرية من الجهة الشمالية. كانت المسافة الفاصلة بينهم وبين عناصر النظام لا تتجاوز 200م، عناصر النّظام يتمركزون على سطوحِ المنازل التي تقع على الأطراف متّخذينَ البراميلَ واللّحف دشماً يحتمونَ خلفها، وهذا يمكّنهم من مراقبة أيّ تحرّك خارج القرية، أطلق عناصر الجيش الحرّ النارَ باتّجاه القرية، تخرج بعض طلقات خطّاطة من بندقية أحد الثوار، فينكشف مصدر النيران ليردَّ عناصر النظام بوابلٍ من الرّصاص نحو المتسلّلين, أُصيب أحدُ أبناء القرية إصابةً طفيفة في جبينه، وينسحب الثوار نحو نقطة انطلاقهم.

كانت الليلة الأولى لنزوح أهل القرية أشبهُ بالكابوس، فالسّير نحو المجهول كارثةٌ، والنّظر نحو الخلف خَشيةَ أنْ يلحق بهم رتلُ الموت الذي صار وحشاً كاسراً لا يرحم، وتنيناً لا شيءَ يمكنه الوقوف أمام نيرانه.

لعبَ أهالي القُرى المجاورة لقرية الأعيوج دوراً كبيراً في استضافة النّازحين، ومن هذه القرى قرية المرنديّة والسّلحبيّة والبريّ ومشرفة المخلف، فيما نزحت بعضُ الأُسر إلى مدينة الرقة، لقد تبادلت المدينة والقرية دور النازح والملجأ، بالأمسِ ومع بداية دخول الجيش الحرّ المدينةَ نزحَ كثيرٌ من أبناء الرقة نحو الأعيوج والتجمّعات المحيطة بها، فكانت صدراً حنوناً لهم، وكان أهلوها نعم المضيفُ، واليومَ هم صاروا نازحين، لا توجد بقعةٌ على الأرض السورية خارج حسابات النار والتهجير، فكلّ المناطق والقرى والبلدات على موعدٍ لتلعبَ دورَ المضيف تارة ودور المهجور تارةً أخرى.

لا أحدَ يمتلك معلوماتٍ دقيقةً عمّا يحدث داخلَ القرية، مجرّدُ تكهّناتٍ وأقاويلَ لا دليلَ على صحّتها، كلمّا مرّت ساعةٌ ازدادتِ الأمور تعقيداً وغموضاً، مرّت الأيام بطيئة ثقيلة الخطوات، والشكّ يأسر أهل القرية حولَ مصير الشيخ والحاج.

انشقَّ عددٌ من الجنود عن الرّتل بعد اقتحام القرية، ولكنْ لا معلومات حولَ ما يحدث داخلها، وكأنّهم مغيّبون عمّا يحدث في الداخل.

في صباح يوم الثلاثاء 23 - 4 - 2013 كانت مجموعة من أبناء القرية تراقب القرية عبر المناظير عن بعد، وفي تمام الساعة الثامنة، تحرّكت آليات الرتل من القرية سالكةً الطريقَ ذاتها التي قدمت منها، اختفت المدرعات والعربات بما تحمل خلف التلال، فأسرعت خُطا بعض أبناء القرية نحو بيوتهم كلّ حسب ما تيسر له من وسيلة نقل، أول الواصلين إلى القرية لوّح من بعيد أنْ لا أحد هنا، توافد الكثيرون من رجالها وتبعتهم بعض كتائب الجيش الحر.

روائح كريهة تنبعث من كلّ زاوية في القرية، وشبح الموت يلفّ المكان. صُعِق الجميع بما شاهدوا، النيران تأكل كل شيء تصل إليه، 32 غرفة تم حرقها، أبوابٌ تمَّ خلعها، وجدران مهدمة، المنازل التي سلمت من الحرق تُرك أثاثها محطّماً، كما تم تبديل أثاث كثير من المنازل مع بعضها البعض، والمواد الغذائية التي لم تُنهب خُلطت سويةً، فترى الرز مع البرغل مع السكر خليطاً واحداً يغطّي باحاتِ المنازل وأزقة القرية، سُكب الزيت والبنزين والمازوت وما تبقى من المياه ، دجاج نافق لُفَّ باللحف وتُرك داخل البيوت، لحومٌ فاسدة كثيرة، وأوانٍ مليئة بالعجين الجاهز للخبز، وأباريق شاي مازال ساخناً.

لقد فُقدت أشياء كثيرة من القرية، أدوات منزلية وكهربائية ومصاغ ذهبي ومبالغ نقدية ضخمة كون أهل القرية خرجوا بسرعة، بالإضافة إلى ثلاث سيارات وأسطوانات غاز وأسلحة فردية.

هل مرّ المغول من هنا؟ أم هي ساحة حرب ضروس؟ من فعل كلّ هذا؟ بينما كانت المناظر تصفع الجميع، توزَّعَ الرجال والشبّان في أنحاء القرية بحثاً عن الشيخ محمد والحاج سعيد؟ أين هما؟ لا أحدَ منهما في منزله. هل ذهبا مع الرتل؟ طال البحث قليلاً، لم يُعثرْ لهما على أثر، حتى اكتشفَ أحدُهم جثتين في حفرةٍ على مقربة من منزل الحاج سعيد، إنّهما الشيخ والحاج، كان مقتولين، ومربوطين سويةً، آثار التعذيب واضحة عليهما، الكدمات متناثرة على الوجه وآثار الصعق الكهربائي ظاهرة، لقد تم قطع أصابعهما والتمثيل بالجثتين. كان المشهد مروعاً ومخيفاً. أي مجرم فعل هذا؟ هل يمتلك قلباً بشرياً؟ أُخرجت الجثتان وتمّ تجهزيهما للدفن، أثناء البحث عنهما عُثر على جثة محروقة بلا أرجل، بدت أصابع اليدين مقطوعة وفي أحد المعصمين سلسال معدني، لم يستطع أحد التعرف على الجثة، لا أحدَ مفقودٌ من أهل القرية سوى الشيخ والحاج. لمن هذه الجثة؟ هل هي لجندي من الرتل؟ أم لعابر سبيل؟ مازالت الجثة المحروقة مجهولة الهوية، كما أنّ مقتل الشيخ والحاج سعيد مازال لغزاً يصعب حله على بعضهم.

دُفن الثلاثة على مقربة من بعض في مقبرة القرية التي ستحتفظ ذاكرتها وذكرياتها برائحة الموت والنار.

يُتبع في العدد القادم...

الساعة الخامسة والعشرون 25/

خيارُنـــا أنْ نبقـــى بشـــراً !

ابتسام تريسي

أن تكونَ سورياً ليسَ معناه بالضّرورة أنْ تتخلّى عن كونك بشراً، وتسعى كي تصبحَ إلهاً بمواصفاتٍ تنطبق على آلهة هذا الفريق أو ذاك من المتصارعين على أرض سوريا!

ولأنّك بشرٌ فعليك أن تعيشَ الحياةَ بكلّ تفاصيلها المربكة. تحبُّ وتكره، تتزوّج وتُطلّق، تنجبُ، تُعلّم الأولاد ، تبيع، تشتري.. أنت سوريّ حقّاً لأنّك ترفضُ أن تتوقفَ الحياة عند الموت فقط كما أرادوا لك.

يجتاحُ المجتمعَ السوريّ مفاهيمُ غريبةٌ كأنّها وباءٌ جموحٌ في سرعة انتشارها خاصّة على مواقع التواصل الاجتماعي.. فمنْ يكتبْ عن الحبّ يُرجم، ومن يكتبْ عن الحياة يوبّخْه الجميعُ بحجّة أنّنا نعيش ظروفاً عصيبة إلى درجة أنّ سماعَ أغنيةٍ أو تنزيلها على الصّفحة الشخصيّة يدعو إلى الاستغراب.. ومباشرةً تكونُ التهمةُ جاهزةً وهي اللامبالاة بما يجري.. فالشّعب السوريّ يُقصف ويموت.. وأنت تبحث عن فرحك وسطَ هذا الدّمار!

يذكّرني هذا بموقفٍ حصل معي عام 2009 دعاني يومَها الكاتبُ الروائيُّ الصّديق نهاد سيريس إلى مناقشة روايتي "المِعراج" في منتدىً أدبيٍّ بمدينة حلبَ، يضمّ نخبةً من مثقفيها من أساتذة الجامعات والأطبّاء والمهندسين. يُقام المنتدى كلَّ شهر في بيتِ أحدِ الأعضاء المشاركين. ما يهمّ في الحادثة أنّ إحدى الطبيبات "سحر عيسى" والتي أصبحت صديقتي فيما بعدُ.. قالت لي يومها: ما لم يعجبْني في روايتك _ بالرّغم من جمالها_ أنّكِ قدّمت الفلسطيني كشخص ضعيف، يلهثُ وراء الحبّ.. ومن المفروض أن يكونَ شخصاً قويّاً ومناضلاً كما قدّمه غسّان كنفاني وغيره من الكتّاب الفلسطينيين" يومَها أجبتها، بأنّي قدّمتُ صورةً لإنسان.. كائنٌ بشريّ له رغباتٌ، ويحيا على الأرض بعيداً عن نمذجةِ الكتب. مَن قال: إنّ الفلسطينيَّ كائنٌ مقاتل فقط؟.

هكذا يرى البعضُ الإنسانَ السوري الآن.. كائناً فانياً لا يستحقُّ الحياة.. والسوري أمام تحدّيات الوجود لا يكتفي بالقتال لاسترجاع حقّه المسلوب في الحريّة، بل يقاتل على كلّ الجبهات لاستعادة حقّه بالحياة. صراعُه ليس مع المقاتلين على الجبهات الداخلية، صراعه ليس مع النظام فقط، صراع السوريّ مع نفسه ومن هم مثله أصحاب مقولة "سورية مذبوحة، لا وقت للفرح، سورية تقصف ليس من حقّك أن تتزوج، أن تزغرد، أن ترتدي ملابس جميلة، أن تأكل لقمة طيبة... في رمضانَ الماضي كنتُ في دمشقَ أعيش إيقاع القصف اليوميّ من قاسيون على الرّيف وبرزة والقابون والحجر الأسود والمخيّم وداريّا.. رمضان المجازر التي تنافست في قسوتها وبشاعتها.. يبدأ الطيران الحربي والمروحيّ تحليقه قبل أذان المغرب بدقائقَ.. يبدأ القصف وأصوات الانفجارات البعيدة مع أول قطرة ماء تنزلق متغلبة على الغصّة في حلقي. بعد ساعات يوم طويل من قذائف المدفعية التي تنهمر من قاسيون وتنزل في قلبي.

نوّار صديق ابني نور يتّصل بي قائلاً "سأمرُّ بك في الساعة العاشرة لنخرج معاً.. نسهر في ساروجة" استغربت الأمر، فقد رسَخ في يقيني أنّ دمشق الحزينة لا يمكن أن يكون فيها أناسٌ يذهبون إلى الأماكن العامّة في مثل هذا الوقت.. لكنّ نوّاراً مرّ بي.. أوّل مظهر فاجأني بعد اجتيازنا عتمةَ شارع بغداد ووصولنا إلى الإشارة الضوئية عند الجسر أنّ صبياً صغيراً نقرَ على نافذة السيارة وبيده زنابقُ بيضاء.. اشتراها نوّار لي.. وفي ساروجة، في المقهى ذاته الذي كنا نجلس فيه قبل بدء القصف على دمشق من قاسيون، كان الناس يدخّنون الأراكيل، ويتحدّثون، وضجيجهم يغطّي كلّ شيء!

في الثانية عشرة أعادني نوّار إلى البيت. في اليوم التالي خرجت لأحضرَ بعض الأغراض من السوق.. لم يكن أحدٌ في الشارع يهتمّ لأمر المروحية التي تحلّق فوق رؤوسنا! في المزّة كان الازدحام على أشدّه.. والنساء يصطحبن أولادهن لشراء حاجيات العيد!

العيد الذي تغلّب حضوره على القصف، وغلاء الأسعار، وتحليق الطيران!

أنا مع الاعتقاد القائل أنّ الشعب السوري لم ينتهِ بعد كي نعلّبه في تماثيل جاهزة كنموذج للتصدير "الأدبي والفني" إلى الخارج. نحن مازلنا بشراً، نتعلّم من ابتسامات أطفالنا الذين يصارعون القتل بإصرارهم على اللّعب فوق آليات الحرب المُدَمّرة!

وكي نبني سوريا من دون تشوّهات، علينا أن نحافظَ على الكائن البشريّ داخلنا.. أن نمتلكَ المقدرة على البكاء والضّحك، ولا ننجرف وراء التبلّد تجاه ما يحصل حولنا بحجّة أولويات الحدث العظيم. إنْ أردنا أن نحافظ على خيار الحريّة الذي خرجنا منذ البداية لأجله.

الإعلامي والطبال..!

عبد القادر ليلى

عددٌ كبير من الشباب ممّن يطلقون على أنفسهم لقب (إعلاميين)، حيث تجد الواحد منهم بمظهر الإعلامي الميداني، الذي يضع الكمبيوتر المحمول في جعبةٍ على ظهره، والكاميرا الحديثة والمتطوِّرة في إحدى يديه، والانترنيت الفضائي المجاني في غرفة نومه، لكنْ دون الاستفادة منها لدرجة أنّ المعلومة تجدها عند الجميع ما عداهم!!

في النهار يغطّون في سبات عميق، وفي المساء تعرفهم في المقاهي من "أراكيلهم" وأكواب "الكابتشينو"!! وفي آخر الليل تجدهم على الدّردشة في الفيسبوك، وأحدهم يغرد مرّة شعراً لحبيبته الحردانة، ومرّة أخرى يشرُّ حكماً مأثورة لا تسمن ولا تغني من جوع... أو يردّد كلاماً مكرّراً ومجاملاتٍ فارغة مثل: "على راسي وأحلى فنجان قهوة..." والكثير من هذا القبيل ما يعبِّر عن خواء صاحبه وقِلّة حيلته!!

ويمتنع عن وضع (لايك) على (بوست) إذا كانَ الكاتب مغضوباً عليه من القوى المسيطرة على الأرض!! أو يثير نصّه المكتوب حساسية لدى الآخرين..!

بعض الإعلاميين الشباب أدّى المهمة بشرفٍ وإخلاص وتفانٍ رغمَ قلّة الخبرة ورغم وقوعهم في أخطاء مهنية، ولكنّ حسن النيّة يشفع لهم! أما البعض الآخر فقد حجز لنفسه كرسيّاً عند أحد قادة الكتائب، واختار لنفسه مهمة تلميع وغسيل وكوي مقابل بعض الفتات الذي يتكرّم به عليه القائد المغوار. علماً بأن الإعلامي الصّادق والحقيقي لا يحتاج إلى قوّة تحميه، فقوة قلمه أمضى سلاح!!

أما الفئة الأخيرة فهي تتضمن من بحث لنفسه عن مكان ضمن هذه التموضعات فلم يجد لأنه يعاني من فراغ وخواء داخلي رهيب، ولكنّه أبى إلّا أنْ يحسب نفسه على الناشطين الإعلاميين ويطلق على نفسه لقب إعلامي.. معتقداً أنّ هذه المهمة هي (شغلة اللي مالو شغلة) ورأسمالها كلام بكلام.. بالرغم من عجزه عن كتابة جملة صحيحة سواء من ناحية المبنى أم المعنى..

وبحكم الظرف الواقع وبما أن الحالة الإعلامية مثل سوق الجمعة مفتوحة لكلّ من هبّ ودب، ودوره فيها كان مثل دور الطبّال في العرس أو "الشوباشي"، الّذي يوزّع المديح يميناً وشمالاً على أرباب الفضل والسخاء مقابل قبضةٍ لاسلكي أو مسدس تركي معدّل، ولا أعرف ما حاجته إليها!! مع كم عبارة ثورية يطلقها وقت الحاجة.. هؤلاء يُدعون بمتسلقي إعلام الثورة، وهم أسوأ فئة في هذا السوق..

لذلك يجب إعادة النظر وتقييم المرحلة ابتداءً بالإعلام.. وانتهاء بكل الحراك الثوري المدني!! وحتّى نصل إلى ذلك نكون قد سلكنا أولى الخطوات في الطريق السليمة، فهلّا نحن سائرون نحو تصحيح مسار هذا السلوك الخاطئ؟!

تنويه

فـوّاز الفـوّاز

تقرأ في الصّحف أو تشاهدُ على التلفاز مقالةً أو برنامجاً، يكتب في أسفلها أو يظهر على الشاشة تنويه يقول:

إن الآراء الواردة في هذه المقالة أو في البرنامج إنما تعبر عن رأي صاحبها.

وهذا يعني ببساطة أنّ الصحيفة التي بين يديك وأنّ البرنامج الذي تشاهده ليست وليس مسؤولاً عن فحوى ما تقرأ أو تشاهد.

أعتقدُ أنّ الهدفَ من وضع هذه العبارة هو الإيحاء بأنّه كناشر لهذه المطبوعة أو كمنتج لهذا البرنامج لا يتّفق مع ما ورد فيها أو فيه.

قد تكون الآراء الواردة فيما تقرأ أو تشاهد آراء جيّدة بنّاءة جديدة تبعثُ في النّفس أملاً وتزرع فيه ثقةً وتنير أمامها سبيلاً, فلماذا التنصّل من مسؤولية وضعها بين يديك أو أمام عينيك؟

وقد تكون آراء سيّئة وهدّامة وتبعث في النفس يأساً وقنوطاً وتزيد همّها همّاً, فلماذا تضعها بين الأيادي أو تحت الأنظار؟

وإذا وضعنا جانباً أنّ تلك العبارة (مذكورة آنفاً تُتّخَذ دريئة لعدم الوقوع في المساءلة القانونية) فلا يمكن أنّ تتخذ أيّة دريئة للتخلص من تبعات المساءلة الأخلاقية؟

ربّما كانت الفكرة الوحيدة التي تقدّم عذراً للتبرؤ منها هي التي تلغي الآخر وتدّعي الامتلاك الحصري للحقيقة. وأية فكرة أخرى يجب ألا يخشى ناشرها أو منتجها تحمّل المسؤولية عنها. وليس ذلك جديداً في تاريخنا, فإنّ لنا فيه أمثلةً ساطعة نفخر بها. ألم يقل أحد كبار أئمتنا رضوان الله عليهم: "رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب"؟

وألم يقل أيضاً((كلنا يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا الرمس)) وهو يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هكذا كانوا ,وهكذا يجب أن نتعلّم منهم.

فاقتضى التنويه !.

في موعدنا الأخير..

قصة قصيرة..

هدى اشتي

اعتدنا ذلك الطّريق الصّاعد من الشام إلى صيدنايا، لنزورها، ديرها، وجنّتها، ولنلتمسَ فيها بعض انعتاقٍ من عيون المراقبين، ولنطيّر صغار النّوارس من صدورٍ ضاقت بها، ولنلوّن بياضَ الحجر بكلّ ألوانِ الحياة.. اختلفتِ الطّريق هذه المرّة. كنت وحدي متّجهةً إلى جحيمِها، لأزورَ طائري المقيّد خلفَ قضبانها الصّدِئة.

احتشدَ الباص المخصّص لزوّار السّجن بالنّساء والأطفال، وعبقت رائحةُ الحزن الدّبقة المتلفّعة بسواد الموت والقهر.. حاولت سدّ مسامعي عن أيّ حديث يدور بين النّساء من حولي كي لا أبكيَ، ولأبقي على بعض شجاعةٍ ظننتُ أنّي أملكها لأمنحها لناصر... لملمتُ كلَّ ذكرياتي عن هذا الطريق لأبعدَها عن رصاص الحاقدين، وسحبتُ ما بقيَ من ألوانِ قوس قزح، وأعدْتُها إلى جعبةِ فرحي التي نضبتْ إلاّ من شوقي للقائه. صدى كلماتِه مازال يتردّدُ في أذني صدىً سحريّاً وأنا أسندُ ظهري إلى المقعد، وأطبقتُ عينيّ على آخر قبلةٍ.

كسرتني كلماتُه الصّلبة المتأهّبة التي طالما سمعتُها ونحن نخطّط وننفّذ حملات جمع الأدوية للمشافي الميدانيّة وحملات تأمين النّازحين، وطالما أذهلتني شجاعتُه المتعقّلة في تدبير الأمور، أحلامُه, وكبرياءُ الرّجل فيه، توقُه للحريّة.

يقف السؤالُ اللاهث في عيني المبحرتين في يباس الطريق: "ناصر.. هل سرقوا منك كل ذلك، وألقوا بك جسداً نحيلاً بلا روح يتنفس عفنَ جدرانهم ويبتلع قهره وعذابه؟

آه.. يا ناصر.. يا وطني..

المسافةُ الفاصلة بيننا مئاتٌ من الأمتار بدأت تتناقص، وبدأتْ أسوارُ الجحيم تلوحُ في الأفق. انحدرَ الباص إلى الطّريق الفرعي، وعلا صوتُ الركّاب مهلّلين لبوّابات لا يعرفون ماذا ستفتح لهم، وإلى أين ستُودِي بمن يلتهب بالنّار وراء حديدها.. شفاههم لزجةٌ من كثرةِ الدّعاء واللّهفة.

قلبي الّذي احترق على إسفلت الطريق بدأ ينتفض وكأنّي ذاهبةٌ إليه في موعدنا الأوّل عندما أزهر الكرزُ، وطافَ ماء بردى على شوارع الشام. لكنّ لقاءَنا هذه المرّة سيكون فقيراً بلا طاقةِ الجوري، والقُبل، وبلا أغنية "حلم" لأم كلثوم التي أسمعَني كلماتها عشرات المرات وهو يشارك أم كلثوم بغنائها. يداي فارغتان تقبضان على الهواء، وعلى قلبي الهارب إليه، وعلى الأوراق الرسمية التي جهّزتها للزيارة بعد سنة من التوسلات والمحاولات.

انفتحتِ البوابات، وانفتح الوجعُ، وعند الحواجز تجرّدنا من كل إنسانيتنا لنُعامَل كحيوانات تُساق إلى ذبحها. أخذوا منّا الأوراق، وأدخلونا إلى بهوٍ تزيّنه صورٌ لظلالِ شبحٍ ببِذْلَةٍ عسكريّة، ونياشين البطولات تزيّن صدره المثقوب.. بدأ مكبّرُ الصوت بتلاوة أسماء الزوّار للتوجّه إلى الشّبك حيث تتمّ المقابلات.. ركضت بقدمين مرتجفتين لا تحملاني على الوقوف، وقلبي يسبقني.. نظرتُ إلى الممرّ الطويل علّني أراه قادماً.. انتظرتُ... طال الانتظار ولم يظهر ناصر.

هُرِعت إلى الموظف المسؤول.. سألته عنه. توسّلت إليه. ذهب إلى غرفةٍ تجاورُ البهو، وعاد إليّ بصرّة من الثياب البالية، وقطعة معدن طُبِع عليها بالخط الأسود العريض (السجين رقم 5510).

جمعية حمار ولا العار..!

جنود الأسد يطلقون الرصاص على الحمير في 14 - 9 - 2011

بسام البليبل

سمعَ حمارٌ أشهبُ فارةً أتاناً تقفُ إلى جانبه على المعلف تزفرُ في نَهيقٍ خافتٍ حسرةً على من قضَى من بني جنسِها في موقعة الحمير الشّهيرة, أولئك الحمير الذين لا يجدون من يرثي لهم من بني البشر, ولا من ينتصر لحالهم من جمعيات الحقوق والرفق, وتمثلت:

وما يقيم بدار الـــذل يعرفهـا إلّا الأذلانِ عير الحي والوتدُ
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد

فابتدرها الحمار قائلاً: ليس بعد اليوم (يا أم تولب) فلن نقيم بدار الذل ونشج دون أن ننتصر لأنفسنا.

أم تولب: وكيف هذا (يا أبا صابر) ونحن الذين يقول فينا شوقي:

فقال سِرْ والزَم أخاك الوتدا فإنـما خُلـقتَ كي تُقيـدا

أبو صابر: كان هذا قبل أن تكون لنا (جمعية حمار ولا العار) التي أسّسها رجلٌ فاضلٌ من بني البشر يدعى (محمد الأهدلي) رحمه الله وأحسن إليه. وقد أقامت هذه الجمعية البارحة حفلَ تأبينٍ للحُمُر القتيلة لم أستطع حضوره طبعاً, فأنتِ تعلمين ما يحدثُ في مثل هذه التجمعات ومن يغشاها من المتسللين, والمخربين أمثال سلالة حمار (أرمياء) من حُمُر بني إسرائيل, وحُمُر (البواتو) الفرنسيّة التي كانت تخرج من فرنسا بحجة إنتاج البغال, وسواهم من الحُمُر المندسة.

وتابع (أبو صابر) قائلاً: ولكن بلغني أنّ (جمعية حمار ولا العار) شجبت مجزرة الحُمُر الشنيعة, وتساءلت عن سبب ارتباط مصير الحُمُر بتغير الحياة السياسية في ديارنا, وذكّرت أنّ الحمار البري السوري قد انهار تماماً خلال الحرب العالمية الأولى عندما دخلت بيئتنا القواتُ البريطانية والتركية المدججة بالسلاح, حيث لم تكن سرعة حُمُرنا البرية كافية للهروب من سرعة السيارات الحديثة التي حلت محل الإبل.

ثم عرَّجت الجمعية في حديثها إلى الحقبة الناصرية فأشادت بها لِما كان للحُمُر في هذه الحقبة من حريةٍ وأمنٍ ورغد عيش إبّان الوحدة السورية المصرية, ثم ختمت هذا الحفل بإرسال برقيات إلى كل الحُمُر, وجمعيات الجحشان في العالم تطلب فيها المؤازرة والنصرة.

أم تولب: حسبُكَ... حسبكَ (يا أبا صابر), ما أظنّك إلّا مازحاً, عن أية جمعية وحرية تتحدث, وأية مؤازرة هذه التي نطلبها من دول الخارج وليس لنا فيها من الحُمُر السورية أحد, ولاسيما أنّ آخر حمار بري سوري لنا في حديقة حيوان "فيينا" في النمسا قد نفق عام 1928, اللّهم باستثناء بعض الحُمُر المهاجرة التي تبحث في الفصائل الخيلية من رتبة فرديات الحافر, وعلم سلوك الحيوان, وغير ذلك من الاختصاصات.

أبو صابر: إنني أتحدث عن حريتنا معشر الحمير في العهد الناصري إبّان الوحدة, وعن (جمعية حمار ولا العار) تلك التي كانت لنا في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي, والتي استثناها عبد الناصر من قرار حلّ الأحزاب والجمعيات في الإقليم الشمالي والذي لم يسلم منه حتى حزب البعث. فقد رأى عبد الناصر بحسّه الأمني أنها الجمعية الوحيدة التي تستحق أنْ تبقى في الساحة السياسية والمدنية السورية, والتي تحظى الآن بمؤازرة جمعية أصدقاء الحمار المغربية, وجمعية الحمير المصرية, والحمار الأمريكي المنقط, والحمار القبرصي, وحُمُر (اليوكون) الأوروبية وغيرهم كثير....

أما عن وجودنا في العالم فإنّ لنا بعض المتجنسين والذين هم أعضاء في الحمار الديمقراطي الأمريكي, والعديد من الحُمُر التي حظيت برعاية مدينة (بلاكبول) الساحلية شمال غربي إنجلترا التي تطبّق قواعد صارمة في رعاية الحمير والحفاظ عليها...

أم تولب: ثم ماذا (يا أبا صابر).. فإنني وحقِّك عندي لأسمع منك اليوم كلاماً عجباً؟!

أبو صابر: ثم تحدثت (جمعية حمار ولا العار) عن رؤيتها في السبب الكامن وراء مجزرة الحُمُر ودوافعها السياسية, ففندت أن تكون حُمُرنا من تلك الحُمُر الإرهابية التي كانت تُربط بالمتفجرات في العراق وأفغانستان, كما فندت بدعة التواصل مع الحمار الأرجنتيني (أندريس) والذي توقع ربيعاً طيباً للحمار السوري في العام القادم.

ورأت (جمعية حمار ولا العار) أنّ نكبة الحمير إنما كانت بسبب تجمع بعض حُمُر الجمعية لإعلان البيان التأسيسي لتحويل هذه الجمعية المدنية إلى حزب سياسي, بعد أن صدرت قوانين التعددية الحزبية وتفعيل الحياة السياسية, إضافةً إلى مطالباتها بتطبيق قوانين مدينة (بلاكبول) الإنجليزية وقواعدها في الحفاظ على الحمير وتأمين راحتها.

أم تولب: وهل كانوا حقاً مقتنعين بهذه الفكرة, وأننا نعيش حرية سياسية حقيقية تسمح لهم بذلك, ويترف الحُمُر الأوروبية؟!

أبو صابر: أَوَليسوا حميراً (يا أم تولب)؟!
أم تولب: ثم ماذا (يا أبا صابر)؟
أبو صابر: وقبل أن تختم الجمعية هذا الحفل أقرّت (وسام الحمار), لكنّها أجّلت شروط منحه واستحقاقاته إلى جلسة قادمة....
أم تولب: (مقاطعةً) وسام... هل قلت وسام (يا أبا صابر)..؟!
أبو صابر: الحق معك (يا أم تولب) فهذه معلومةٌ جديدةٌ لم يسبق لكِ ولأكثر الحُمُر أن سمع بها. وهي تدل على اهتمام الغرب بالحُمُر السورية منذ زمنٍ قديم, ومحاولة اختراقها. فقد قيل – والعهدة على بني البشر – إنّ إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني أو وليم, وقبل أكثر من مئة عام من هذا التاريخ زار دمشق في عهد الوالي حسين ناظم باشا, فاستقبلته المدينة استقبالاً عظيماً, فما كان من الإمبراطورة التي لاحظت حماراً أبيضَ لفتَ نظرها إلاّ أنْ طلبت إلى الوالي أن يأتيها به لكي تأخذه معها, متذرعةً بأنها تريده للذكرى, فراح الوالي يبحث عن صاحب الحمار, فعلم أنه يخصّ (أبا الخير آغا تللو). وكان الآغا من وجوه محلته, ويفاخر دائماً أنّ له حبيبين الحمارَ وحفيده.
استدعى الوالي (أبا الخير) وطلب إليه إهداء الحمار إلى الإمبراطورة, فاعتذر. فعرض عليه شراءه منه, فأصرّ على الرفض.
ولما اشتدّ الوالي في الإلحاح أجابه أبو الخير, يا أفندينا! إنّ لدي ستة رؤوس من الخيل الجياد إن شئت قدمتها كلّها إلى الإمبراطورة هدية مني, أمّا الحمار فلا.
استغرب الوالي هذا الجواب, وسأله لماذا؟!
قال: سيدي إذا أخذوا الحمار إلى بلادهم فستكتب جرائد الدنيا عنه, ويصبح الحمار الشامي موضع النكتة, وربما السخرية, فيقول الناس إن إمبراطورة ألمانيا لم تجد في دمشق ما يعجبها غير الحمار. لذلك لن أقدمه إليها, ولن أبيعه.
ونقل الوالي الخبر إلى الإمبراطور والإمبراطورة, فضحكا كثيراً, وأُعجبا بالجواب, وأصدر الإمبراطور أمره بمنح أبي الخير وساماً, فسمّاه (وسام الحمار), واشتهر أمره زمناً في دمشق.
أم تولب: (باستغراب) يا لها من حكاية! ثم ماذا عن البرقيات, وهل أرسلت إلى كل الدول في العالم؟
أبو صابر: (وقد اعتلف آخر قضمة برسيم) نعم, فقد ختم هذا الحفل بإرسال البرقيات إلى دول العالم كافة باستثناء روسيا والصين.
أم تولب: (باستغراب) وعلام ذلك وفيهما ما فيهما من الحُمُر التي لا تعد ولا تحصى, ففي الصين وحدها أحد عشر مليوناً منها, من أصل أربعةٍ وأربعين مليون حمار في العالم.
أبو صابر: هذا صحيح, ولكنهم يعرفون جيداً نوعية تلك الحمير التي هناك.
فما كان من (المكاري) الذي لاحظ انشغال الحمار والأتان بالنهاق الخافت والالتهاء عن اعتلافهما بأمور أخرى, أن قرع بعصاه المعلف فأجفلهما, ثم ألهب ظهريهما بضربتين شديدتين جعلتهما يسرعان إلى حيث تنتظرهما عربات التحميل ليشدّا إليها.

لا يُمـــاّ؛ لا تبكيـــــن..!

د. نجاة عبد الصَّمد

"لا يُمّا... لا... يمّا لا تبكين... لا تثيرين المواجع..." لا يُمّا أنا لا أبكي، لم يموتوا جميعُهم بعدُ. غداً ستصِلنا عن إخوتي، وعن إخوة زوجي الأخبارُ. وإلى حينها: أنا فقط أتسلّى، أقضمُ الوقتَ و أتسلّى، وأحياناً أحدسُ، وأحياناً أحلمُ، وأحياناً أتذكّرُ، وأحياناً أنصِت... أتسلّى بعدِّ مَن ما زالوا أحياءً في ضيعتنا. أصعدُ إلى سطحِ مأوانا، أصغي إلى مسارِ القذيفة من مرماها هُنا إلى مَرساها هُناك. أحدسُ أنّها لم تُصِب بيتنا. وأنّ كيس صابون "زهر الزيتون" لم يندلق من خزانتك على الأرض، وأنّ أخي الصّغير سيذهب إلى ضيعتنا ويأتينا به لنغتسل. تفسّخت يداي من صابون الجلي الخشن. سأخبرك أنّني في الشّهور القليلة التي أعقبت زواجي السّعيد من (رجا) سرقتُ صابونة منه أكثرَ من مرّة، وأرخيتُ يدّي تذوبان فرحاً برغوته الكريمة النمّامة عن بخلك الكاذب. ولم أخبرك كيلا تغضبي. لا تندمي لأنّك كنت تحتفظين بصابونك للضيوف. هنا: نحن الضيوف! أحدسُ أنّ القذيفةَ أصابت بيت جارتنا أم سعد الله. أندم لأنّني لم أجبرْها على النّزوح معنا. سأبكي من الملل لو عدنا غداً وما وجدناها؛ مع من إذا سأقضي كلَّ تلك الأمسيات الرّتيبة غداً حين سنعود؟! متى سنعود؟ طالَ مقامنا هنا يُمّا. "لا تديري وجهَك عني يمّا" أنا أيضاً أحلم. أحلم ببطانية لي وحدي: كلّ يوم تقولين لي: دورُك اليوم في البطانية كيلا يبرد جنينك. وأنت أيّتها العجوز: متى سيأتي دورك فيها؟! ألمْ يعضَّ البردُ مفاصلك بعدُ؟" لا تكذبي عليّ يُمّا" تقولين أنّك أكلتِ رغيفَ خبز وأبقيتِ لي هذا الرغيف. تظنينني لا أعرف أنّ هذا الرغيفَ وحيدٌ مثلنا، وخائفٌ من الفناء. سنتقاسمه يُمّا ونترك منه لقمةً للغد، (لحين فرج الله...) أنا أيضا أتذكّر. تذكرتُ (رجا) عصرَ أمس، ورجوته أن يزورني في الحلم. و لم يبخل. في الحلم ضمّني ودفيت. أفقتُ عَرِقةً وسعيدة رغم أنّ البطانية كانت تغطيكِ أنت. قلتُ له: خذني إليك. غضب وصرخ: وعدتِني ألا تموتي. ظنّني نسيتُ أنه لا يطيق اليُتم وأنّه لا يتذكّر هناك شيئا كما يتذكّر أنّ والدته ماتت وهي تلده. الموتى لجوجون. الشّهداء أكثرهم لجاجةً. تصوّري أنّه حتى هناك يظلّ يسألني متى ألد؟ يظلّ يطلب مني ألاّ أموتَ وأنا ألدُ. حتى هناك ما زال يحلم بابننا يحرس من بعده المكان. يحلم بي أحرس ابننا وحدي. لا يعرف الشهداء شيئاً عن وجع الأرملة... يُمّا.... أصغي جيداً يُمّا: هذي انطلاقة قذيفةٍ جديدة. بدأت هبوبها بعون إيران أو روسيا. تطير ملهوفةً إلى بيتنا. سيزوغ مسارها بعون الله. لن يموتَ إخوتي، لن يموتَ إخوة زوجي. لن يموتوا جميعاً... تعالي ننصتْ معاً إلى ململات حفيدك في بطني. تعالي ننصت معاً، نحن الأرملتين الوحيدتين في ملجئنا. تعالي ننصت ونتسلّى ونحلم...

فيصل البليبل.. ذاكرة وطن

علي السويحة

شاعر سياسي ملتزم، قيل عنه: مرآة تعكس ما ترى.. اعتبر فيما بعد من شعراء الهجاء والنقد السياسي في العصر الحديث. كرّس شعره في السياسة، ونشر قصائده في البدايات باسم ربيعة الرقي.

أوّل أديب رقّي انتسب إلى اتحاد الكتاب العرب، أسّس في دمشق منتدىً أدبي سياسي، وهو من أوائل المنتديات السياسية والأدبية هناك. تميز بعلاقاته الاجتماعية والأدبية الواسعة، نُشرت عنه العديد من الدراسات النقدية والأكاديمية في المجلات والدوريات العربية.

قال عنه الدكتور بسام ساعي في كتابه "الشعر الحديث في سورية": "يعدّ الشاعر فيصل البليبل من أبرز روّاد النّظرة المستقبلية في الشعر السياسي الحديث في سورية".

وله مجموعة من القصائد الوطنية التي تمّ تدريسها في المرحلة الابتدائية، لسهولة اللفظ وجمالية الصورة. كرّمته الرقة في فعاليات مهرجان الشعر العربي، وسمّتِ الدورة الثانية باسمه "دورة الشاعر الراحل فيصل البليبل".

وصفَه الأديب الرّقي صبحي الدّسوقي رئيس اتّحاد كتاب سورية الأحرار: (الحزن راية تظلل حياته، ولم يستطع التخلص منه، وما زالت كلماته المليئة بالحزن مرسومة على كتاب أهداه لي: "مع باقة من الأشواك، فليس في حدائقي ورود").

وُلد الشاعر فيصل البليبل في الرّقة، في وسطٍ علمي وديني، وأسرة البليبل من الأسر المنسوبة لآل البيت. والده السيد عبد الهادي البليبل، العضو البارز في هيئة مشورة الرقة التي تشكلت عام 1918م عقب فراغ أمني إبان خروج العثمانيين من الرقة، وقد ترأسها هويدي الشلاش العلي، ورأس بلديتها حداد العلوش العجيلي، عُرفت عند أهل الرقة باسم حكومة هويدي.

شغل السيد عبد الهادي البليبل وظيفة مدير مال الرقة في العصر العثماني، ويبدو أنّ خلافاً ما حدث مع عبد الهادي البليبل، عند احتلال الفرنسيين للرقة، فاتّهم بالعصيان المدني، أو عدم تنفيذ أوامرهم، ممّا استوجب برأيهم سجنه، وهكذا كان أول سجين سياسي بتاريخ الرقة الحديث.

درسَ شاعرنا فيصل البليبل في مدرسة الشيخ حسين العليان الأهلية علوم القراءة والحساب وغيره، أما الشعر فقد تولى تدريس أصوله ويحوره، وما يتعلق به الشيخ رمضان الكشة، الذي تأثر به كثيراً، فغلب عليه الهجاء الشعري.

رآه الشيخ محمد سعيد العرفي بالرقة، واقترح أن يدرس في المدرسة الخسروية بحلب، لكن والده لم يشأ أن يفارقه، فأكمل دراسته بالرقة.

قال الشعر مبكراً بأنواعه: الشعر العامي والفصيح، وفي شعره نفحة صوفية، غلبت عليه لتربيته الدينية المتزمتة. وفيما بعد قال الشعر السياسي حين تفاعل مع أحداث سورية السياسية.

جعل الشعر السياسي الملتزم كل شيء في حياته، ولم يطمع بتكوين أسرة خاصة به، لأنه رأى أن الشعب السوري أهله وأسرته. في مقابلة صحفية معه بعد حزيران عام 1967 سأله صحفي عن مولده فقال: "ولدت عام 1919م على شاطئ الفرات، ومُتّ على شاطئ بردى عام 1967م، ولمّا أدفن بعد". وإجابته المحبطة من مفرزات حرب حزيران، وسقوط القنيطرة، التي أدت إلى اعتكافه في بيته وتلقيه التعازي لفقدان القنيطرة، ولو علم كيف سقطت لنحرَ نفسه.

ظلّ البليبل طوال عمره المديد مشاغباً حرّاً نبيلاً أبياً، يتشوّق إلى أن يرى وطنه سيداً... هجرته:

عمل شاعرنا معلماً في مدارس الرقة، وهاجر إلى دمشق للإقامة مع أخيه الضابط في الجيش السوري، والعمل بمدارسها. وفي المدن الكبرى تبرز المواهب، حيث توسعت حلقة معارفه، ومداركه، وتعرّف على الأوساط الثقافية، فاحترم لمثاليته وظرفه، وشعره الناضج الملتزم. ولم يكن أبداً شاعر صالونات، ولم يمدح سوى الوطن.

إن جرأته ووطنيته وذرابة لسانه جعلت الحكومات المتعاقبة، منذ أواخر خمسينيات القرن الماضي على شرائه لكنها فشلت، فاستحق أن يكون سيد الشعر الوطني الملتزم بقضايا أمته، فلم يصانع أو يخادع أو تغره المطامع، فهو قداح وليس بمداح حسب قوله فعبر عن ذلك بقوله:

لست عبداً كي يشتروني بمال ولست مستوزراً ولا صعلوكا

فكان منبراً للشعب، ينتقد بقسوة وعنف دونما خوف، فلاقت قصائده التعتيم الإعلامي الرسمي، رغم قناعة الحكام بصدق ما يجيء به، ويقال أن أحد حكام سورية العتاة كان معجباً بشعره، وكتب له البليبل: ما دمت معجباً بما أقول لمَ لا تدعني أكتب ما أريد. ولم يرد على كتابه لأن حرية الرأي وحرية الصحافة لا تطيلان عمر الحكام الطغاة.

قيل له: قصائدك ناقدة تخلو من ألوان الشعر الأخرى، فقال: غايتي من النقد إظهار العيوب، والتقويم، لأن التستر على العيوب والنواقص يجعلنا في مؤخرة الشعوب، ألم تسمع قول عبدان الشاعر:

وقالوا عليك في الهجاء إثم وليس الإثم إلا في المديح
لأني إن مدحت مدحت زورا وأهجو حين أهجو بالصحيح

ويحبّ البليبل أن تكون قصائده في كل مكان ليحرج الفسدة والحكام، يكتب القصيدة في منتداه ليلاً، وتصل صحيفة الأنوار اللبنانية بالهاتف وتنشر فيها، فيقرؤها أهل دمشق صباحاً.

ويبدو أن الأستاذ فيصل البليبل لم يُحرم متعة زيارة زنازين الشعبة السياسية، أو المخابرات فقال عن ذلك: لقد حصل لي الشرف أن تعرفت إلى كافة السجون السياسية، فملأت جدرانها قصائد، ثم مُحيت، كي لا يتعلم من يحلّ بها بعدي حب الوطن.

وغالباً كان يسجن للصباح، ثم يخرج إلى مدرسته، ليدرس تلاميذه، مبادئ الثورة على الأنظمة الفاسدة، والسخرية منها والسخط، تلك الأنظمة التي أفرزت حكومات ونتن وخيانة ورُشاً وفساد ومحسوبيات، أوصلتنا إلى ما وصلنا ما إليه.

رغم أن البليبل من دعاة الوحدة الحلم إلا أنّ حكم الانفصال الديمقراطي من أفضل الأنظمة التي نال فيها فيصل البليبل حريته بالنقد والسخرية.

كان المثقفون بالرقة والشام يتخاطفون أشعاره، ورأيت أناساً يكتبون بعض أشعاره على قصاصات ورق، وخاصة تلك الظريفة، التي جمعت الهجاء والنقد الحق.

نقده للدول العربية:

عُرف العرب بأنهم أمة يحكمها التاريخ، والشعر، والدين السياسي، وهذا الثالوث يسيّره حكام، دأبهم أن تظل شعوبهم كما هي، غارقة في مشاكلَ سياسية واقتصادية، ليظل الحاكم ينهب ويسرق فئوياً وطائفياً، وعُرفت الدول العربية بكثرة مؤتمراتها السياسية، فأطلق عليها فيصل البليبل اسم حفلات فقال عن إحداها:

حفلات من بعدها حفلات ... يكره النيل ذكرها والفرات
حفلات لا يطرب المجد فيها ... لا ولا تنتشي فيها المكرمات
أيها الساهرون للقصف إنا قد ... سهرنا تخيفنا القاصفات
ويح يضحكون والقدس تبكي ... والسبايا من قومنا باكيات
يا قيان الناس لا تذكري الـ ... ثأر فمن يسهرون للثأر ماتوا

وتعبّر القصيدة عن لامبالاة حكام العرب بقضية فلسطين، كما هم اليوم لا يبالون بقضية سورية المحتلة من عدة دول أولها دولة إيران وروسيا، وحزب الله، الذي كان الشعب السوري من أكثر مؤيديه، ولكن بعد انخراطه مع الغزاة خسر نصيراً عظيماً، وفتح فجوة ظلّ الإسلام الحقيقي يحاول ردمها منذ ألف وأربعمئة سنة.

طبعَ ديواناً خاصاً للمغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز، وأكثر ما تحدث فيه عن القدس والجولان وفلسطين. وكتب ديوان "قصائد مزقها عبد الناصر"، أما القصائد المخطوطة فهي كثيرة، وكتب نتفاً شعرية جميلة منها التي يمدح فيها الطيار السوري الشجاع فايز منصور:

يا صقر لاحت في السماء صقور ... فاصعد فأنت الفائز المنصور

وكان الشهيد فايز منصور من الطيارين الشهداء الذين قضوا بالدفاع عن الشعب السوري، وعُرف بالشجاعة والمروءة، ويختلف عن طياري النظام السوري الحالي، الذين يتغاضون عن العدو الصهيوني وهو يقصف دمشق، فيردون بقصف الشعب السوري ومدنه.. فلا نامت أعين الجبناء.

جعل البليبل الرقة ودمشق والقدس في قلبه وقصائده، وكل ما كتبه قصائد عشق وحب، والشعر كل ما يملكه وكم تمنيت لو أنّ البليبل حيّاً ليرى حال العرب المُزرية وهم يرون الشعب السوري الأعزل يُقتل منذ سنتين ونصف، لو أن فيصل حياً، لملأ الدنيا قصائد حب لثورات الربيع العربي الدائم.

أبيات لم تنشر

تنفرد "منازل" بنشر هذه القصيدة لذاكرة الوطن وأحد أبرز رواد الشعر السياسي في سورية

الله والشعراء وحزب البعث..!

فيصل بليبل

1919 - 1984

يقول الله في الشعراء قولٌ ... ويستثني الكرام المؤمنينا
ولو أصغى لحزب البعث ربي ... لقال لهم كذبتم أجمعينا
كذبتم يا ذئاب البعث أنتم ... تقولون الذي لا تفعلونا
وخلف شعاركم لاءات سوءٍ ... مبطّنةٌ لما قد تعلنونا
أيا بعث الكوارث والرزايا ... طعنتم ويلكم شرفاً ودينا
طعنتم أمةً كانت وتبقى ... برغم "البعث" تأبى أن تهونا
لأنتم بعث إسرائيل حقاً ... وقد علم اليهود وتعلمونا

تشرين الأول 1970

جســـــد الجمهوريّـــــة

عـزّت القمحـاويّ

لم ينل جسد القائد السياسي حقه من الدراسة عربياً، بالرغم من اتصاله المباشر بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم. وعلى الرغم من تخلّف العلم فإنّ الوعي الشعبي بهذه العلاقة موجود منذ عهد الملك فاروق الذي كان جسده بيتاً واسعاً وغامضاً حوى العديدَ من الأساطير والحقائق كانت أسباباً للإعجاب والغضب في الوقت ذاته. وبقدر ما كانت حركة الضباط الأحرار في 1952 انقلاباً سياسياً واجتماعياً على الملكيّة فقد كانت بمثابة الانقلاب على الأرستقراطية القديمة جسدياً.

مثّلت أجساد الضباط انقلاباً على جسد الملك فاروق، ببطنه البارز وكتفيه المائلين إلى الخلف ووجهه المكتنز؛ صفات النبل في الجسد الأرستقراطي التي غادرتها أوروبا تدريجيًا خلال القرن التاسع عشر.

كان جسد الرئيس الأول محمد نجيب بنحافته وسمرة وجهه بمثابة صدمة الانتقال من حكم سلالة الألباني محمد علي إلى حكم المصري. وسرعانَ ما انكشف موقع نجيب في الثورة التي يقف وراءها البكباشي الشاب جمال عبد الناصر؛ فتوارى توارى راعي الثورة العجوز وظهر قائدها الشاب.

جسد عبد الناصر بقامته المديدة وكتفيه العريضين وعينيه الصقريتين وشعره القصير المصفف بتموجات لطيفة كان مناسبًا تماماً لمرحلة البعث. تمثالٌ جديد لنهضة مصر، بكلّ ما يمثّله من ضخامة وصلابة وانسيابية. مثال من لحم وليس تمثالاً من بازلت.

ولم يكن السادات أقلَّ تناغماً مع النقلة التي خطّطها للمجتمع المصريّ، ليصبح مجتمع استهلاك ورفاه. وهذا المجتمع الذي يصبو إلى البرجوازية سيحتاج إلى سمات النبل الأرستقراطيّ الحديث في جسد الرئيس: شيء من النحافة واستقامة القامة، إبراز طول العنق، النظرة المسددة للبعيد، الملابس شديدة الأناقة وخصوصاً العسكريّة المرصّعة بالنياشين والتّطريز الحالمة بعرش شاهنشاهي، وكاب يداري الصلع، مع الغليون (آلة التدخين التي توحي بالدّعة وفراغ البال).

وسامة مفكّر فيها، بعكس وسامة عبد النّاصر التّلقائية. وهذا الملمح الجسديّ يكمل التّضادّ بين الرئيسين: عبد الناصر المسيطر على قراره السياسيّ المتعالي على جسده حدّ الموت شاباً من الإعياء، والسادات الذي يفرط في استقلال قراره السياسي، ويقبض على زمام جسده.

ولكنّ الرجل الذي انتهى قتيلاً على أيدي المتطرفين كان قد قلب المجتمع رأساً على عقب، خالقاً دولة القبح بدلاً من دولة الرفاه البرجوازي التي تقدّر الأناقة والجمال. أطلق الجماعات الدينيّة سياسيّاً وأعلى من شأن السمسرة اقتصادياً؛ فارتفعت الفئات الجاهلة التي لا يعنيها الجمال أو التجمّل.

وجاء مبارك، رئيس الضّرورة بقامته الرّبعة التي أهّلته لمدرسة

الطيران، ليست له قامة ناصر أو السادات لكن بصحته الجيّدة ومواظبته على الرياضة. وكان على المجتمع المأزوم أن يتقبّل جسداً ساكناً يفتقر إلى رشاقة الخصرين ونبل العنق الطويل، يحمل وجهاً بلا بريق في العينين، وفوق كلّ هذا يتحصّن ملبسه في أمان الألوان الأصلية الصريحة: الأبيض والسماوي للقمصان والأسود والكحلي للبدلات.

هذا الحذر الجسديّ كان متناغماً تماماً مع حذره السياسيّ؛ فقد أدرك "الموظّف بدرجة رئيس" أنّه لا يملك كاريزما عبد النّاصر التي تجعل كلّ قراراته معقولة ومقبولة، كما يفتقد مهارة البهلوان الّتي مكّنت السادات من إجراء تغييرات متتابعة في بنية السّلطة؛ فركنَ إلى الاستقرار الجامد.

وعندما انحدر الحكم ليصبحَ شركةً عائلية تتّجه للتّوريث أصبحت إدارة جسد مبارك وأناقته شأناً عائليّاً كذلك وتزامنت فاعليّة القرار السياسيّ الخطر مع القرار الجسدي التجميلي.

بدأ في الظّهور بالماكياج، وفي حملة انتخابات 2005 ظهر في الحوارات التليفزيونية والملصقات بقميص مقلّم بلا جاكيت وشعر قصير، مثلما كان دائماً لكنّه مصفّف بشكلٍ أفضلَ مما قبل. وحافظَ على هذا المظهر الشبابيّ في الصّور العائلية، وخاصّةً

في صور اللعّب مع الحفيد محمد علاء الذي مات فجأةً وأخذ معه كلّ ما تبقى من حيويّة الرجل المسن.

تداعى الجسد في الوقت الّذي كان الرّئيس قد استنفد كلّ رصيد سلطته المستندة إلى البطولة في الحرب (شرعية أنظمة العصر الوسيط حسب تصنيف ماكس فيبر). وفي اللّحظة ذاتِها كان المجتمع يتجدّد بجيل جديد يعي معنى الحريّة بما فيها حرية وكرامة الجسد. وهذا هو الجيل الذي قاد ثورة 25 يناير. وبقدر الاستحقاقات السياسية التي يطلبها هذا الجيل بقدر تطلّعه إلى جسد رئاسي يجسد هذه الاستحقاقات ويتناغم معها.

ولا يمكن تحقيق مطالب الثورة الثلاث "عيش، حرية، وكرامة إنسانية" إلا بتأسيس الشّرعية الأحدث: شرعية دستورية مبنية على الكفاءة العقلانية.

وليست هناك إحصاءات رسميّة تحدّد بدقّة دورَ جسد المرشح في اختيارات الناخبين، لكنّ هذا المحدّد كان موجوداً على أية حال. وهناك الكثير من سيّدات "المجتمع الراقي" عبّرْنَ عن الامتعاض من مجرّد التفكير في اختيار مرشّح ملتحٍ، وكان ميلهنّ إلى أحمد شفيق لا يعبّر بالضّرورة عن ارتباط مصالح مع نظام مبارك والطّبقة التي يخدمها، بل لمجرّد أنّه رجل وسيم حسن المظهر، يعرف كيف ينتقي ملابسه. هذه الأناقة المتمسّكة بأهداب الشباب نفسها كانت أحدَ مقومات السّخرية من شفيق في أيّام الثورة الأولى، حيث حرصَ خلال المدّة القصيرة التي تسلّم فيها رئاسة الوزراء على هذا المظهر العصري الذي لم يفلح بحداثته في الحفاظ على نظام قديم متداع.

"الرجل البلوفر" كانت تسمية شفيق المرفوض في بداية الثورة. لكن خلال عام ونصف، اقتسم فيها طنطاوي بجسده المتداعي وملابسه العسكرية الشاشة مع الإخوان، صار لشفيق جمهور بين نساء منتصف العمر المأخوذات بأناقته وطريقته في التخاطب "حضرتك" التي يأكل منها حرف الراء فتصير "حضتك". وكان للمرشّح حمدين صباحي ذات الحصّة تقريباً لدى الأكثر شباباً من الإناث والذكور. وإن كانت وسامة حمدين أكثر ارتباطاً بجماليات الفعل الثوري من شفيق.

"الجمال يخزي العيون" هذه الحقيقة تجل الوسامة جزءاً من وجاهة المنصب، مع ذلك لم يحسم المقدرون لأهمية الوسامة المعركة. جاءت النتيجة لصالح المرشّح محمد مرسي الذي حقق المعجزة ووصل إلى كرسي الرئاسة، على الرّغم من تناقضه البيّن مع كلّ ما يمكن أن يمتّ إلى جماليات الجسد الحداثي، لكنّه متناغم مع الشّرعية التي تستند إليها جماعته: شرعيّة الأمس الأزليّ المرتبط بالنبوّة (أقدم أشكال السلطة على الإطلاق).

وقد عجزت جماعة الإخوان حتّى الآن عن إقناع أصحاب الثورة الأصليين بسلطة الماضي الأزلي، مثلما أخفق مرسي في إقرار سلطة الجسد الرئاسي، على الرّغم من التعديلات في السّلوك والمظهر: صوت أقلّ ارتفاعاً من صوته في خطاباته قبل المنصب، ميل أقلّ للفم عند الكلام، بدلات ثمينة وجيدة القياس. ولكنّه كلما أفرط في السّفر والخطابة كانت أخطاء الجسد تظهر جلية.

الرأس ضخمٌ غارق بين الكتفين، العينان بحولهما الخفيف فيهما الكثير من القلق والحزن. البطن بارز ولكنه ليس كالبطن الأرستقراطي، وليس في زمنه. الشّعر القصير كان يتّجه إلى الجبهة تلقائياً بلا تصفيف في البداية ثم صار مصفّفاً أخيراً، واللّحية البيضاء القصيرة تحول إهليلجية الوجه (الشكل المعتمد في المخيلة للوجه البشري) إلى الشّكل المستطيل. اللقطة الخلفيّة بما فيها من استواء الرأس بالقفا تعزّز المستطيل كذلك.

هو تقريباً جسد مبارك قبل عشر سنوات. عندما قلّل من الرياضة وأفرط في الطعام . لكنّ مبارك لم يمتلك يوماً ذلك الامتلاء في الظهر والقفا؛ فهذه البينة تخصّ أعضاء التنظيمات الإسلامية الذين يأخذون نصيبهم من الدنيا طعاماً عندما تقبل.

في الوضع جالساً كثيراً ما يتمترس مرسي، تتشبث يداه بالمخدعين، توقياً لعدو يتحيّن الفرصة لإزاحته من فوق الكرسي. جلسة لا تخدم طلّة الزّعامة ولا تعكس الاطمئنان إلى الأحقية بالمنصب.

وضع الحركة أسوأ من وضع القعود. على الرغم من أنّ الرجل يتحرّك بقامة مشدودة وصدر منتفخ، لكنّه لم ينل فرصته للمشي المطمئن إلا في الأماكن المحروسة جيداً: على سجادة الاستقبال في مطار أو أمام مجلس الشورى عند افتتاحه بعد إقرار الدستور.

في الأماكن الأخرى، الحركة متعجّلة. وللأسف لا تحتفظ الذاكرة بالعادي بل بالغريب، والغريب في حركة رئيس هو التقهقر والانسحاب الذي اضطرّ إليه أكثرَ من مرّة وسط جموع الغاضبين حتى المساجد إلى الأمس وغداً.

عند الهروب يفقد الحرس وظيفته التزيينية والتشريفية ويفقد المحروس هيبته. لكنّ الأمر لا يقتصر على لحظات الفوضى.

في خطابه بين أنصاره أمام القصر يوم 23 نوفمبر 2012، حضر وانصرف من الخلف عبر فرجة بين رقعتي قماش الخيمة، بينما ينبغي على الرؤساء أن يدخلوا من الأبواب العالية والواسعة.

أثناء اللّقاء مع رئيسة الوزراء الاسترالية هرش فخذه فغطّت الهرشة على الزيارة، وأثناء المؤتمر الصحفي مع المستشارة الألمانية هرش ساعته، كما أن مشاهد الإفطار الرمضاني على مائدة القوات المسلّحة لا تنسى؛ عندما حمل إلى فمه هرماً من الأرز فوق ملعقته.

وعقب أحداث بورسعيد الغاضبة من الأحكام على المتهمين في مذبحة جمهور النادي الأهلي، رفع الرّجل إصبع السبابة مهدداً، ورد مئات الآلاف من أبناء مدن القناة بإرعاش أصابعهم الوسطى لقرار حظر التجوّل في مدن القناة.

عدوان السبّابة ودفاع الوسطى كان تأكيداً جديداً على تضادّ فكر جماعة الإخوان مع طموحات ثورة 25 يناير، وفي الوقت ذاته، كان إشارة جديدة إلى أن مرسي هو الرجل الأكثر تضاداً مع المقتضيات الجسدية لصورة الرئيس في تاريخ الجمهورية المصرية.

> ”أثناء اللّقاء مع رئيسة الوزراء الاسترالية هرش فخذه فغطّت الهرشة على الزيارة“

بانوراما تحرير الرقة

خلف الغازي

على مدى أربعينَ عاماً, كانت محافظةُ الرّقةِ حقلَ تجاربَ في مختبراتِ النّظام يجرّب فيها الفسادَ والاستبداد، ويكرّس العشائرية والطّائفية والتّخلف والمحسوبيات حتّى أنّ أزلامَ النظام من بقية المحافظات يعتبرون الرّقة "خليج سورية" بسبب تكريسِ الفساد والرُّشا وسرقة مؤسسات الدولة.. ثمّ أصبحت سورية بعد تدويل أزمتها حقل تجارب في المختبرات الدوليّة.. استدرجت إليها كلّ قوى الطغيان والأعداء التاريخيين للأمة، كالفرس الصفويين وبطل المقاومة حسن نصر اللات..

وعندما تمدّدت قوات النّظام كالأفعى من حلبَ إلى حمصَ إلى دمشقَ وريفها ودرعا, قرّر سيد البيت الأبيض دعمَ المعارضة بالسّلاح لكي يعيدَ توازنَ القِوى إلى ساحة تصفية الحسابات الدوليّة في سورية, وأصبحنا كشعب سوري وقوداً لهذا الصراع!

نشرتْ مجلة نيويورك تايمز مقالاً في 4/1/2013 أنّه ستقام إمارةٌ إسلاميّة في مدينة شمال شرق سورية وتحرّرت الرّقة في 4/3/2013 بالهجوم عليها من أربعةِ محاورَ ووقفنا كشعب مذهولين وفرحين غيرَ مصدّقين أنّنا تحرّرنا ولم يبقَ في الشوارع والساحات دورياتُ أمنٍ ولا سيارات حفظ الأمن ولا حتى شرطيّ مرور، وبعد عشرة أيام رُفع علم جبهة النصرة في ساحة الشهداء، وبايعَ الأمير محمد الجولاني زعيمَ تنظيم القاعدة الدكتور أيمن الظواهري، وبدأت أبواق النظام تتّهم الثوار والمجاهدين في سورية بالتكفيريين والإرهابيين والظلاميين. ولأنّ النظام حملٌ وديع أو حمامة سلام اشتدّ قصفه على المدن السورية والقرى بشكل همجي بكلّ أنواع الأسلحة والصواريخ البالستية والكيميائية المحرمة دولياً, وأصبحت الدبابات تتمشّى في الشوارع كأنها في نزهة تقصف البشر والحجر والشجر وبدأ طيارونا يتقلّبون في الجوّ ويظهرون بطولاتٍ ليتها كانت فوق تل أبيب، وراحوا يمطِرون الشيوخ والأطفال والنساء بشتى أنواع الصواريخ المدمرة والفراغية والرشاشات الثقيلة.

وكان هناك اختراع سوري ـ إيراني هو البراميل المتفجرة يستحقّون عليه جائزة نوبل للقتل والتدمير تحمله طائرات الهليكوبتر "الحوامات"، وهي تتألف من أسطوانة بداخلها مادة ت . ن. ت شديدة الانفجار، ومسامير فولاذية حادة، وخردة حديد، ومادة نترات الأمونيوم التي تولد درجة حرارة عالية جداً عند الانفجار.

حتى يومنا هذا سقطَ في سماء محافظة الرقة حوالي مئة صاروخ "سكود"!! ولولا العنايةُ الإلهية وصواريخ الباتريوت من تركيا لأصبحت الرقة أثراً بعد عين. حتّى كان لسان حال أهلها يقول: (الرّقة الله حاميها). فلا النظام يعترف أنّه يطلق صواريخ سكود من ألويته في جبال القلمون ولا تركيا تعترف بإطلاق صواريخ الباتريوت التي تتصدّى لصواريخ السكود وتفجّرها في سماء الرقة إلى ثلاثِ قطع دون أي أذى يُذكر!!

فتصبحون على وطن له رائحة الياسمين وعبق الورد.. نريد أن نحيا في وطننا أحراراً كراماً أو نموت شهداء. فلا نامت أعين الجبناء..!

"ميراج طيارك هرب.. والميغ يتحدّى القدر"

أحمد البكار

عندما تدنّس طائرةٌ معادية السماءَ, طبعاً لا تُظهر نجمة داوود, تحوّلُ المدينة إلى كرةِ رعبٍ ملتهبة. قنبلة متدحرجة منزوعة مِسمار الأمان. لا ندري نحن المعلقين بها أينَ مكمن الخطر وأين منفذ النجاة؟ تغدو تلك اللحظات اللّعينة الرهيبة أسلحةً فتّاكة تخنق الجميع. تشلّ الأعصاب فتشخصُ الأبصار والأفئدة إلى غول أسطوري وكأنّنا في محشر.

لمّا تقصفِ الطائرةُ بعد.. ربّما الآن. هذه العقرب المتوحشة في عليائِها المنحطّ المريع تكشف كلّ أحياء المدينة المنكوبة المتوثبة المرتعدة. تحوّلُ الأحياء إلى موتى مع وقف التنفيذ.

ساعةً أكونُ على دراجتي الهوائيّة, في الطريق, تحت رحمة أو الأصح تحت غضب جهنّم الطّائرة وفحيحها النّاشب فينا, لا أدري أ أهربُ من القتل أم أهرب إليه؟ وهل يحيق العطب بالبيت أم بالدكان؟ أم تراه ينتظرني بينهما؟. وعندما أخرجُ عن خطّي المعتاد, لطارئٍ ما, يصبح الأمر شائكاً مثيراً وأكثر مدعاة للقلق والأسئلة. أتراني غيّرت استقبالاً لحتفي أم استدباراً؟ تجنّباً للنار أم ولوجاً فيها؟. وتُوزَّع العائلة على أكثر من مكان, أهو إنقاذ لبعضها وحماية أم إرسال هذا البعض لنهايته المحتومة؟. وهل في الرقة اليوم, إن لم نقل في "سورية الأسد" المبتلاة بعدوان بشار وزبانيته المستمر المستعر وبهمة وخسة طياري الغدر والخيانة مجوفي القلوب مسلوبي المشاعر مكانٌ آمن وآخر خطر؟

انفجار صاعق يدوّي. يتوقّف القلب لثوانٍ تتطاول كأنّها الدهر.. نهتزّ. نرتعد. نتلمّس رؤوسنا.. نفركُ عيوننا.. نتلفّت حولنا.. نأخذ نفساً عميقاً. عميقاً. الحمد لله. يبدو أننا ما زلنا, حتى هذا الصاروخ – البرميل في سجلّات الأحياء. فمن هوى. وأين؟!.

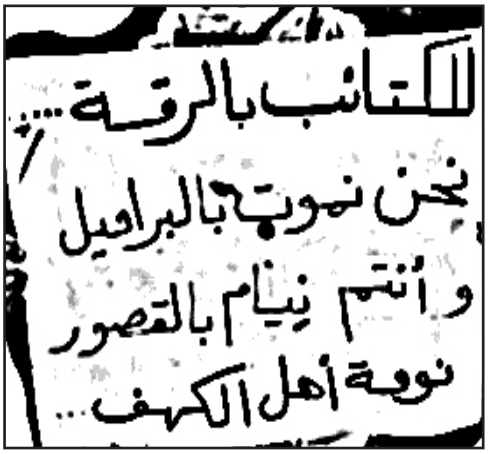

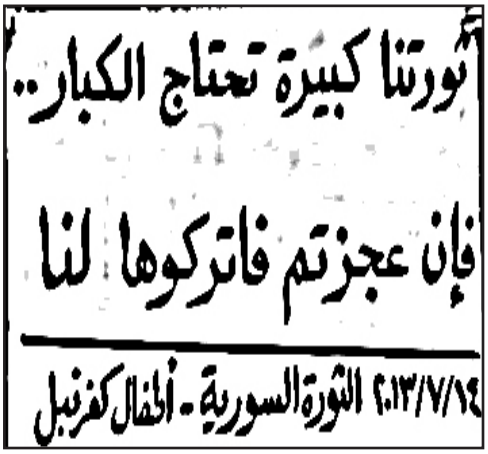

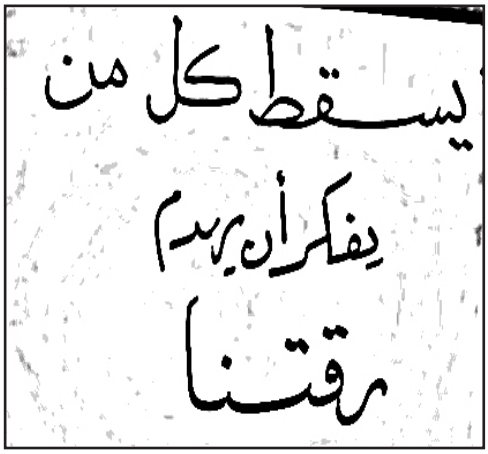

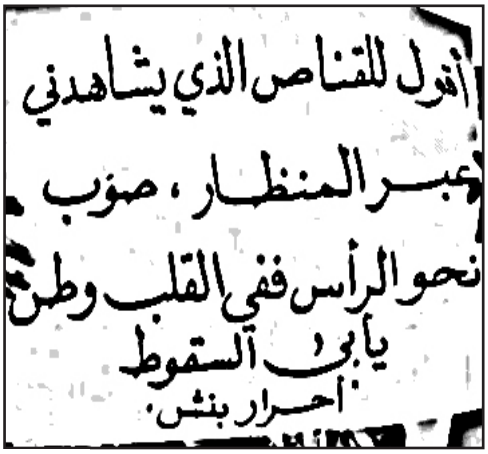

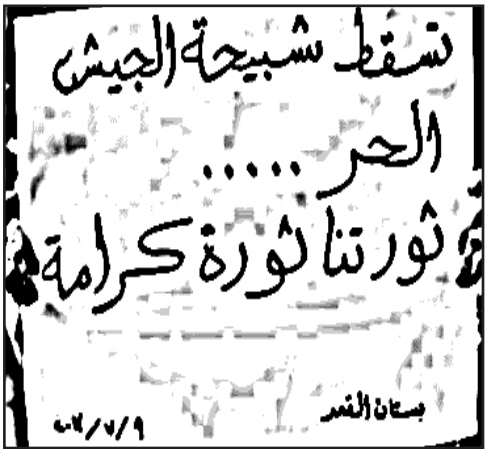

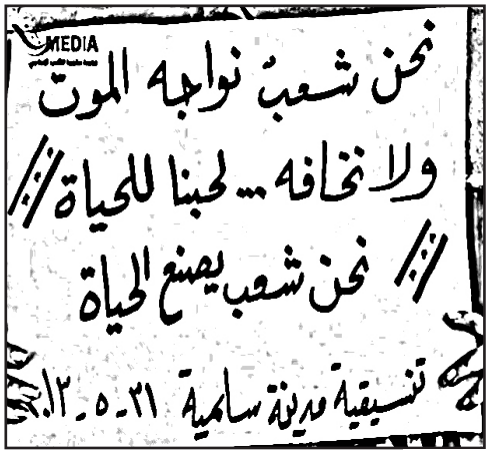

منـــــازل الفيسبـــــوك

معن الهويدي:
مساحة يحتلها الساسة والعسكريون هم من يُشعل النار، وهم من يطفئها متى شاؤوا ذلك.. هل يأتي يوم ويكون لدينا ساحة نسميها ساحة النصر؟!

رشا الأخرس:
بقولوا من عاشر القوم 40 يوم صار منهم وفيهم... فما بالكن بالأب باولو عاش معنا 30 سنة وحبوه الناس.. وكان إنسان بكل معنى الكلمة رفض الظلم وقال كلمة حق بوجه الباطل... ومن حقو علينا نطالب بالإفراج عنو متلو متل أي سوري معتقل سواء عند النظام أو غيرو... وما بصير نكون جاحدين للي عملوا كرمال الثورة... للأسف في ناس مع الثورة عم ياخدوا الموضوع بسخرية واستهزاء.... ولك الحرية ما بتتجزأ يا فهمانين..

أيهم الحسن:
نعتذر وبشدة لعدم استقبالنا للرتل القادم من لواء 93 عين عيسى! فنحن مشغولون في قتل أنفسنا..

غازي دهمان:
بدأ العد التنازلي لبداية ثورة ما بعد الأسد، جهزوا شعاراتكم ودربوا حناجركم على تراتيل ثورية جديدة، باستثناء الشعب السوري واحد.

سليمان رمان:
بطاقة حب في عبد دام.. أختبئ خلف إصبعي الصغير.. ليحميني من سلاح غبي كحامله.. أتكور في زاوية وأقرأ المعوذات بشكل متداخل.. الخيالات, الأحلام تمر سريعاً, خائفة هي الأخرى.. تكبر الأصوات في إذني.. وأسمع صوت طفل بنادي أمه:
لا أريد أن أموت. أعيدوا إلي ساقي ضعوها في كفني أماه.. أماه
دمتم في أمان.. أحبكم جميعاً أصدقائي

ميخائيل سعد:
في قرية من قرى جبل الزاوية، قال الثائر المسلح للثائر السلمي: بتسكت وإلا بخلي الرصاص يسكتك؟

أسامة إبراهيم:
سلمية قلب الثورة: نحن خرجنا بعد درعا مباشرة بتاريخ 25/3/2011. ومحسوبكن صاحب الهتاف الشهير "يادرعاوي مش بروحك نحنا ضمادين جروحك"، سلمية هي تكثيف حقيقي لكل سوريا الثورة. رحم الله شهداءنا الأبرياء اليوم. وشهداء سوريا.

عصام حقي:
من دمر الدار يدرك أنه لن يعود إليها.. ومن يراقب من بعيد لوحة ركام سورية يدرك أنهم المقلوعون منها إلى الأبد هم ومصطلحهم الدميم (إلى الأبد.!).
وأنه من هذا الركام ستنهض الحياة ويكون البناء.. البناء الجديد على أركان الحب والخير والجمال بعد اندحار الكراهية والشر والقبح.

ماجد كيالي:
فكرة "التحرير" جرى النفخ بها وهي لم تكن مدروسة ولم يكن ثمة إمكانيات لها وهي وليدة توهّمات الدعم والتدخل الخارجيين.. هكذا جرى التلاعب بثورة السوريين والتحكّم بها وهكذا تمّ إخراج شعب سوريا من دائرة الصراع.. وهكذا بات خارج هذه الثورة أهم بكثير من داخلها.

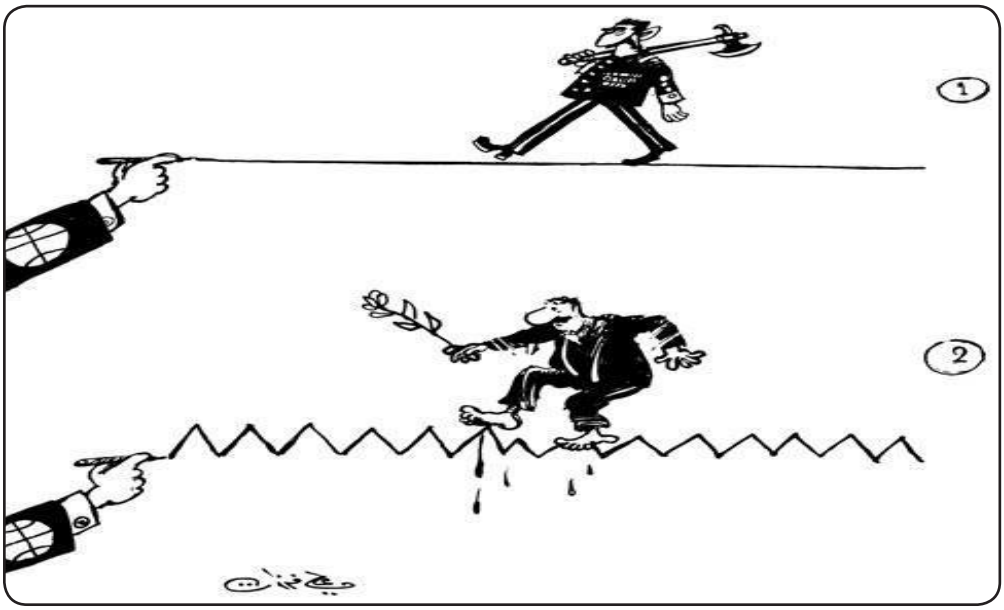

لماذا تركنا البيتَ وحيداً.. يا أبّي؟!

إبراهيم العلوش

لماذا تركْنا كُتبنا، لماذا تركنا أسرّتنا، لماذا تركنا زاويةَ جلوسِنا، لماذا تركنا لوحةَ الرّجلِ الجالس بانتظار الإلهام.. لماذا تركنا حمّامنا الأزرقَ السماويّ.. لماذا تركنا ألوانَ الجدران.. لماذا تركنا جرسَ البابِ الّذي كان يرنّ إعلاناً عن وصول الأصدقاء والأضياف الأحبّاء.. لماذا تركنا الشرفةَ يستبدُّ بها الغبارُ.. آهِ .. مَن سيسقي الزرعةَ الخضراء وهي تنامُ عند الباب ظمأى إلى الماءِ و إلينا..؟!

لماذا تركنا البيتَ وحيداً يا أبي..؟ كانت ابنتي الصّغيرة تردد بلجاجة ونحن نخرج من بيتنا كاللّصوص.. انتشلنا أغطية وبضعة ألبسة كانت مخبّأة وأوراقاً تناثرت هنا وهناك في حمّى البحث عنها.. لم نعد قادرين على الالتفات ولا حتى سماع نداء الأشياء الكثيرة التي اعتادت رؤيتنا.. لم نعد قادرين على البقاء.. الطائرات قادمة يا ابنتي.. الطائرات التي اشتريناها لنسافرَ بها.. الطائرات التي افتخرنا بسرعاتها وبمهارات طياريها من أبناء بلادنا.. قادمة الآن يا ابنتي فعلينا أن نترك البيت وحيداً لقدرِه.. علينا أن نترك البيت ونواجه قدرنا الذي يحوم فوقنا.. اندفعنا مسرعين على الأدراجِ الخالية من السكان..

نحن أواخر الحمقى الّذين ما زالوا يتشبّثون بجدران بيوتهم.. ذهبنا قبل وصول الطائرات الوشيك.. قبل وصول الصّواريخ الوشيك.. قبل وصول القذائف المهيّأة منذ عقود لقتلنا.. لم نلتفت إلى الشّرفات المقابلة، لم نبتسم للجيران الذين رحلوا قبلنا.. لم نفطن للشجرة التي زرعتها العجوز الوحيدة أمام بيتها وتركتها وحيدة.. جأرَ محرّك السيارة عالياً وهو يندفع بنا بعيداً عن البيت الذي تركناه وحيداً.. جأرت قلوبنا وقاومنا الدّمع بصمت ثقيل.. بصمت غليظ.. ببرهة زمانية تبلغ ألف عام ممّا نعد بالسّاعات وبالتقاويم وبالمفكرات..

أصوات الانفجارات خلفنا.. لم نوصِ البيت بالحفاظ على نفسه.. لم نوصِه بالحفاظ على ألوان جدرانه... لم نوصِه بإبقاء الأبواب مغلقة مهما كان الزائر ولو كان صاروخاً.. الله... ولم نوصه أيضاً بالحفاظ على زجاج الشرفة اليتيمة !!!

في المساء اتّصلوا بنا..

كنا نتفق على تقاسم الغرفة الوحيدة التي ساقها الحظّ السعيد لنا في إحدى القرى النائية.. لم نكن كثيرين كنا ثلاث عائلات لكنّ الغرفة كانت كبيرة.. ووجوه أهلها كانت بشوشة تحاول أن تنسينا ما تركناه خلفنا..

في ذلك المساء اتصلوا بنا وقالوا إن بيتنا الذي تركناه وحيداً لم يسمع نصائحنا بالحفاظ على نفسه، وقد شُوهد يتمايل ثملاً بالقصف ويهتزّ مثل راقصة شرقية، لقد خرج عن طوره وتحطّم زجاجه وتكسّرت أبوابه وتناثرت الأشياء بصخب وفوضى.. واصطبغت شرفته باللّون الأسود.. كان البيتُ عاقّاً لوصايانا التي لم نقلها له.. وهو نادم كثيراً، كثيراً جداً، على نشوته التي أودت بوقاره وبهدوئه الذي كان يزينه دائماً..

منازل الغياب

الشهيد

محمد أحمد إسماعيل الزير

شاب في مقتبل العمر وفي مقتبل الحياة الزوجية, قُصف بيته الذي يقضي فيه شهر العسل مع عروسه في مساكن الادخار ونجا مع حبيبته بأعجوبة من الدمار الذي ألحقه صاروخ بالمساكن وبالمدنيين الآمنين...

نزح إلى بيت عمّه لتلاحقه البراميل المتفجرة غرب المركز الثقافي بالرقة هو ومعظم أفراد بيت عمه أهل عروسه التي أبت إلا أن تلحق به إلى جنان الخلد مع أخوتها الصغار..

محمد الذي كان يحبّه الناشطون جميعاً، فهو يتعامل معهم في محلّه برفق وتعاطف وبدعم كبير للثورة... وفي محله قرب مقهى "آبل" كنتَ تعرف تفاصيل المظاهرات وتفاصيل النشاطات وآخر أخبار المخطوفين والمعتقلين، وآخر أخبار الثورة التي يراهن عليها بكل كيانه وبكل شبابه الزاهر بالحماس والود...

وداعاً يا محمّد الذي تركتنا وحيدين بلا أخبارك الرائعة والمبشرة... وأنت تذهب إلى الجنة مع عروسك وأخوتها.. سلّم لنا على الشهداء... سلّم لنا على خير شباب وفتيات سورية الذين حصدهم هذا النظام الغاشم الذي لا يرتوي إلا من دمائنا!!

أسرة التحرير: ابراهيم العلوش - ماجد رشيد العويد - يوسف دعيس
الإشراف الفني: مصطفى سليمان - ياسر أبو عمار - التدقيق اللغوي: مصطفى أبو عمر
البريد الإلكتروني: manazel2013@gmail.com (المراسلات باسم أسرة التحرير)

الآراء الواردة تعبر عن آراء كتابها وليس بالضرورة عن رأي الصحيفة

منازل
لكل منا منازل في القلوب منازل
تمت الطباعة في مطبعة أطلس